

الوسطية
مفهومها - مظاهرها -
أهميتها في الدعوة إلى الله تعالى



د. سعود عبد العزيز الدوسري (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) ^(١).
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ^(٢).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) ^(٣) ^(٤).

(*) أستاذ مساعد بقسم العقيدة والدعوة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت.

(١) سورة آل عمران الآية "١٠٣".

(٢) سورة النساء: الآية "١".

(٣) سورة الأحزاب الآيتان "٧١، ٧٠".

(٤) خطبة الحاجة: الشيخ. محمد ناصر الدين الألباني، ص ٣-١٤ المكتب الإسلامي - بيروت.

أما بعد:

فإن من نعمة الله على هذه الأمة وتشريفه لها أن جعلها أمة وسطا خيرا عدولا فقال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)^(١) فهي خير الأمم التي أخرجت للناس وقد وصفها المولى عز وجل - وشهد لها بذلك فقال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)^(٢).

ثم اصطفى الله سبحانه وتعالى لها رسولا من خيارها وأوسطها نسبا ومكانة فبعثه فيها نبيا رسولا: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)^(٣)، وأنزل لها أشرف كتبه وجعله مهيمنا على الكتب قبله شاملا لخير ما جاءت به: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)^(٤).

لقد شرفت هذه الأمة بالمصدرين الأساسيين للدعوة الإسلامية - القرآن الكريم والسنة المطهرة - وامتاعتهما واهتداء بهديهما كانت خير الأمم وأوسطها وأعدلها. وكان أسعد هذه الأمة باتباعها وأحرصهم على هديها قولا وعملا واعتقادا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم تابعوهم، ثم التابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة الماضية، التي شهد لها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالخيرية في قوله: "خيركم قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم"^(٥)، فهؤلاء هم خيار الأمة ثم

(١) سورة البقرة من الآية: "١٤٣".

(٢) سورة آل عمران من الآية "١١٠".

(٣) سورة التوبة الآية "١٢٨".

(٤) سورة المائدة : الآية "٤٨".

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٢ ص ٩٣٨ كتاب الشهادات، باب لا يشهد على الشهادة جور إذا شهد، رقم "٢٥٠٧" - ومسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٩٦٤ كتاب فضائل الصحابة، رقم "٢٥٣٥".

يلحق بهم كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الهدى والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في كل زمان ومكان فهؤلاء جميعا أفضل هذه الأمة وأوسطها وأعدلها.

لقد ابتعدت الأمة الإسلامية في العصر الحاضر عن منهج الاعتدال والتوسط الذي رسمه القرآن الكريم، ومارسه في الحياة سيد المرسلين، فإن المتدبر في الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم يرى فرقا شاسعا في أهدافها واختلافها في منطلقاتها وغاياتها ومشاربها، يرى الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء والإسراف والتقتير في كثير من أفراد الأمة.

والدعاة إلى الله تعالى يقودون الناس إلى الصراط المستقيم على منهج سلف الأمة الصالح، ينفون عن هذا الدين غلو الغالين، وانتحال المبطلين وتفريط الكسالى والمرجئين ودعوي المرجفين الزائغين، ووسط هذا الواقع المؤلم والاضطراب المهلك تشتد الحاجة إلى إرشاد الأمة إلى الصراط المستقيم، والمنهج الوسط القويم لإنقاذها من كبوتها وإيقاظها من رقدتها، تذكير الدعاة والمصلحين بالمنهج الحق والطريق البين الواضح: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) ^(١).

٢- أهمية الدراسة:

لقد تأملت طويلا عند قضية الغلو والجفاء والإفراط والتفريط، وأيقنت بأن الأمة بأمس الحاجة إلى منهج وسط منقذ لها من هذا الانحراف الذي جلب عليها الرزايا والمصائب والنكبات، فوجدت أن القرآن الكريم قد رسم لها هذا المنهج في جميع جوانبه أصولا وفروعا، وعقيدة وعبادة وخلقا وسلوكا وتصورا وعملا.

ولقد جاء منهج الوسطية من خلال القرآن الكريم في أساليب عدة تصريحاً وإيماء، مفصلاً ومجملًا، خبراً وإنشاءً، أمراً ونهياً.

(١) سورة الأنعام: الآية "١٥٣".

هذا والحديث عن الوسطية له مناح متعددة، وجوانب متشعبة، وهو موضوع ذو أهمية بالغة، فعلى الوسطية قام الإسلام، فأمة الإسلام تتمتع بالوسطية في العقيدة، والوسطية في الأخلاق والوسطية في العبادة والوسطية في الجمع بين الروح والجسد. واقتناعاً مني بأهمية الموضوع الذي أسلفت الحديث عنه، ومسيب الحاجة إليه بسبب ذلك فقد عزمت على الكتابة فيه.

٣- أهداف الدراسة:

- (١) خدمة الدعوة الإسلامية وإفادة الدعاة.
- (٢) دحض الشبهات، والرد على الافتراءات التي يثيرها أعداء الإسلام بدعواهم أن الإسلام دين الغلو والتطرف.
- (٣) بيان أن الإسلام دين الرحمة والوسطية والسماحة.
- (٤) إرشاد المسلمين إلى حقيقة دينهم الخفيف الوسيط البعيد عن الإفراط والتفريط.
- (٥) الحديث عن الوسطية متناثراً في بطون الكتب، فأردت أن أجمع عقده المتناثر في بحث علمي يسهل الرجوع إليه، والانتفاع به.
- (٦) إثراء المكتبة الإسلامية بمؤلف جديد.
- (٧) اقتناع أمة الإسلام أنهم يعتنقون أعدل وأكمل الأديان.
- (٨) أن يعلم غير المسلمين أن ما جاء به الإسلام هو الوسطية والتسامح والرحمة، وأن النظام الإسلامي يكفل السعادة للبشرية في الدارين.

٤- منهج البحث:

لقد اعتمدت على المنهج الوصفي، حيث يقوم بوصف الوسطية من الناحية اللغوية والاصطلاحية وسماقتها، ووصف الإسلام كمنهج وسط في العقيدة والأخلاق والشرعية وهذا من خصائص ومظاهر الإسلام، ووصف منهج الأنبياء عليهم السلام - الدعوي الوسط، وغير ذلك.

كما اعتمدت على المنهج الاستقرائي، حيث يقوم بعملية استقراء للوسطية واستعمال الإسلام لها، وللمصنفات في هذا الموضوع، وبيان ما لها وما عليها. وقد جاء هذا البحث بعنوان: (الوسطية مفهومها - مظاهرها - أهميتها في الدعوة إلى الله)

٥- خطة الدراسة:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. المقدمة وفيها: أهمية الدراسة، أهداف الدراسة، منهج الدراسة خطة الدراسة. الفصل الأول: معنى الوسطية وتميز الأمة الإسلامية بها. المبحث الأول: معنى الوسطية لغة واصطلاحاً. المبحث الثاني: معنى الوسطية في القرآن الكريم. المبحث الثالث: الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط. الفصل الثاني: أبرز مظاهر الوسطية في الإسلام. المبحث الأول: الوسطية في الاعتقاد. المبحث الثاني: الوسطية في العبادات والتشريع. المبحث الثالث: الوسطية في الأخلاق. الفصل الثالث: أهمية الوسطية في الدعوة إلى الله. المبحث الأول: اللين والرفق وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى. المبحث الثاني: وسطية الأنبياء والرسل عليهم السلام وأهميتها في الدعوة. المبحث الثالث: وسطية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأهميتها في الدعوة الخاتمة: وتشتمل على أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

هذا وأسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبلنا بقبول حسن إنه نعم المولى ونعم النصير.
وآخر دعوان أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

معنى الوسطية وتميز الأمة الإسلامية بها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الوسطية في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى الوسطية في اللغة

قال ابن منظور: وسط الشيء ما بين طرفيه، ووسط الشيء أفضله وأعدله، ويقال وسطت القوم أوسطهم وسطاً ووسطة أي توسطتهم، ووسط الشيء وتوسطه صار في وسطه ووسط الشمس توسطها السماء وواسط الرجل وواسطته، والتوسط قطع الشيء نصفين، والتوسط من الناس من الوساطة، ومرعى وسط أي خيار، ووسط الشيء وأوسطه أعدله، ورجل وسط حسن، وصار الماء وسيطة إذا غلب الطين على الماء، ويقال أيضاً شيء وسط أي بين الجيد والردئ، وفي التنزيل: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)^(١)، وسطاً عدلاً وقال بعضهم: خياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل، وقيل في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم أنه كان من أوسط قومه أي: خيارهم، تصف الفاضل النسب أنه من أوسط قومه، وهذا يعرف حقيقة أهل اللغة لأن العرب تستعمل التمثيل كثيراً، فتمثل القبلة بالوادي والقاع وما أشبهه فخبر الوادي وسطه، فيقال هذا من وسط قومه ومن وسط الوادي،

(١) سورة البقرة: من الآية "١٤٣".

ومعناه كله من خير مكان فيه، وكذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - من خير مكان في نسب العرب، وكذلك جعلت أمته أمة وسطا أي خيارا^(١). فالوسط في اللغة يدور حول العدل والخير، والجودة والرفعة، والمكانة العلية، وأنها تؤول إلى معانٍ متقاربة، ولذلك ذكر ابن فارس أن مادة وسط تدل على معانٍ متقاربة (الوار والسين والطاء) بناءً صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه..^(٢)

ثانياً: معنى الوسطية في الاصطلاح:

قال د. محمد عبد اللطيف: نستطيع أن نستخلص تعريفاً خاصاً محدداً للوسطية فنقول: إن الوسطية هي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم، ثم قال: أما ما شاع عند الناس وانتشر من الوقوف عن أصل دلالتها اللغوية، أي التوسط بين طرفين مهما كان موضوع هذا الوسط الذي تم اختياره من صراط الله المستقيم التزاماً وانحرافاً فليس بمفهوم صحيح وفق ما تبينه الآيات والأحاديث^(٣)، ويؤكد هذا المعنى في محل آخر فيقول: ولا تلزم لكل ما يعتبر وسطاً في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب، وإنما قال ذلك لأن هناك من جعل (الوسطية) من التوسط بين الشيئين دون النظر إلى معنى الخيرية التي دل عليها الشرع. وعرفها الإمام الطبري حيث قال في تفسيره: (وأنا أرى أن الوسط هو الوسط

(١) لسان العرب: لابن منظور، ج ٧ ص ٤٢٦، مادة (وسط)، طبع دار صادر بيروت سنة ١٩٨٠ م.
(٢) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن بن فارس، ج ٦ ص ١٠٨، طبع مطبعة الخلي بالقاهرة، طبعة ثانية سنة ١٩٧٠ م.
(٣) الوسطية في الإسلام: د. محمد عبد اللطيف الرفور، ص ٢٩، طبع مطبعة النفائس بيروت -، طبعة أولى سنة ١٩٩٣ م.

الذي بمعنى الجزء، الذي هو بين طرفين، مثل وسط الدار. وأرى أن الله تعالى ذكره - إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلو بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين هم بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم وكذبوا ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ أحب الأمور إلى الله أوسطها^(١).

وقال الشيخ رشيد رضا: إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة عن المطلوب في الأمور إفراط والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط مثل للبعد عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طريقي الأمر، أي المتوسط بينهم^(٢).

وقال الدكتور يوسف القرضاوي: (ونعني بها - أي الوسطية - التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متفاوتين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير. ويطرده المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويظعن على مقابله، ويحيف عليه، ثم ذكر بعض الأمثلة في ذلك)^(٣).

وقال الأستاذ محمد قطب: إن الوسطية هي التوازن، والتوازن هو العدل، حيث قال في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)، وسط في كل شيء، متوازنين في كل ما تقومون به من نشاط، ثم بين أن الوسطية تعني التوفيق بين أشياء كثيرة، كالتوفيق بين مطالب الفرد الواحد، وبين مطالب الجموع، والتوفيق بين العمل للعاجلة

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الإمام / محمد بن جرير الطبري، ح ٢ ص ٦، طبع دار الفكر بيروت - سنة ١٩٨٥م.

(٢) تفسير المنار: الشيخ / محمد رشيد رضا، ج ٢ ص ٤، طبع دار المعرفة بيروت، طبعة ثانية بدون تاريخ.

(٣) الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي، ص ١٢٧، طبع مؤسسة الرسالة بيروت -، طبعة ثالثة سنة ١٩٨٥م.

والآجلة وهكذا^(١).

إن المتأمل في ما ورد في القرآن والسنة والمأثور من كلام العرب وما أطلق وأريد به مصطلح الوسطية، يتضح له أن هذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتان:

الأولى: الخيرية أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.

والثانية: البينية سواء أكانت حسية أو معنوية.

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلا في مصطلح الوسطية. والقول بأن الوسطية ملازمة للخيرية، أي أن كل أمر يوصف بالخيرية فهو وسط فيه نظر، والعكس هو الصحيح، فكل وسطية تلازمها الخيرية، فلا وسطية بدون خيرية ولا عكس، فلا بد مع الخيرية من البينية حتى تكون وسطا، وكذلك البينية أيضا، فليس كل شئيين أو أشياء يعتبر وسيطا وإن كان وسطا، فقد يكون التوسط حسيا أو معنويا، ولا يلزم بالوسطية كوسط الزمان أو المكان أو الهيئة ونحو ذلك، ولكن كل أمر يوصف بالوسطية فلا بد أن يكون بينيا حسا أو معنى.

ومن هنا نخلص إلى أن أي أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعا فهو الذي يصح أن نطلق عليه وصف الوسطية، وما عدا ذلك فلا، وإلى هذا ذهب الدكتور ناصر بن سليمان العمر في كتابه الوسطية في ضوء القرآن^(٢).

ومن خلال العرض السابق اتضح لنا التلازم بين الخيرية والبينية - حسية أو معنوية - في إطلاق مصطلح (الوسطية).

(١) منهج التربية الإسلامية: الأستاذ / محمد قطب، ج ١ ص ٢٨، طبع دار الشروق، طبعة سابعة سنة ١٩٨٣ م.
(٢) الوسطية في ضوء القرآن: د. ناصر بن سليمان العمر، ص ٤١-٤٢، طبع دار الوطن الرياض - طبعة أولى سنة ١٩٩٤ م.

المبحث الثاني: معنى الوسطية في القرآن الكريم

وردت كلمة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة، حيث وردت بلفظ (وَسَطًا) [البقرة: من الآية]، و(الْوُسْطَى) [البقرة: من الآية ٢٣٨]، و(أَوْسَط) [المائدة: من الآية ٨٩]، و(أَوْسَطُهُمْ) [القلم: من الآية ٢٨]، و(فَوْسَطَن) [العاديات: من الآية ٥].

وسوف أقوم بذكر معنى بعض هذه الكلمات حسب ورودها في القرآن الكريم، وأقوال المفسرين حولها، مستشهدا لذلك ببعض ما ورد في السنة المطهرة .
أولاً: لفظة (الوسط).

وردت كلمة الوسط في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) .

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة ما أخرجه الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ)، "ويكون الرسول عليكم شهيدا" فذلك قوله جل ذكره (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)^(١)، والوسط: العدل^(٢) فالآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى حين حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبله إبراهيم - عليه السلام - واختارها لهم ليجعلهم خيار الأمم، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لهذه

(١) سورة البقرة: الآية "١٤٣".

(٢) صحيح البخاري ج ٣ / ص "١٢١٤" كتاب الأنبياء، باب قول الله عز وجل: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) رقم "٣١٦١".

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري الإمام / أحمد بن حجر العسقلاني، ج ١٣ / ص "٣١٦"، طبع دار المعرفة بيروت.

الأمة بالفضل.

واختار الله تعالى مكان رسالته، وموقع قبلة الصلاة، ومهبط الوحي المكان الوسط الذي يتسق مع وسطية الدعوة السمحة، ويتناسب مع الرسالة الخالدة لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم.

قال ابن حجر: والوسط العدل وحاصل ما في الآية الامتنان بالهداية والعدالة، وقال ابن بطال: وقد ثبتت لهم هذه الصفة بقوله وسطاً والوسط العدل^(٣).

وعلق الفخر الرازي على هذه الآية تعليقا طيبا فقال: إن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين، ولا شك أن طرقي الإفراط والتفريط رديقان، فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيدا عن الطرفين، فكان معتدلا فاضلا، وإنما سمي العدل وسطا لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين ولا شك أن المراد بقوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) طريقة المدح لهم، لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفا ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهودا له ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلا وذلك مدح، فثبت أن المراد بقوله: (وَسَطًا) ما يتعلق بالمدح في باب الدين، ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم شهودا إلا بكونهم عدولا، فوجب أن يكون المراد في الوسط العدالة، إن أعدل بقاع الشيء وسطه، لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال، و الأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد والأوسط محمية محوطة، فلما صح ذلك في الوسط صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهة دون جهة.

وأن الوسط من كل شيء خياره، وهذا التفسير أولى من الأول لوجوه:
الأول: أن لفظ الوسط يستعمل في الجمادات، قال صاحب الكشف: اكترت جملاً من أعرابي بمكة للحج فقال أعطي من سطا تحنة أرد من خيار الدنانير، ووصف

العدالة لا يوجد في الجمادات، فكان هذا التفسير أولى من الثاني لأنه مطابق لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)^(١). إن الرجل إذا قال أن فلان أوسطنا نسباً، فالمعنى أنه أكثر فضلاً، وهذا وسط فيهم كواسطة القلادة، وأصل هذا أن الأتباع يحوشون الرئيس فهو في وسطهم وهم من حوله، فقليل وسط لهذا المعنى. ويجوز أن يكون وسطاً على معنى أنهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط، والغالي والمقصر في الأشياء لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى، فجعلوا ابناً وإلهاً، ولا قصرُوا كتحقير اليهود في قتل الأنبياء و تبديل الكتب وغير ذلك مما قصرُوا فيه، واعلم أن هذه الأقوال متقاربة غير متنافية والله أعلم^(٢).

فوصف الأمة الإسلامية بالوسطية التي رفعتها عن الحضيض، أو العيش في حثالة التاريخ أو مخلفاته، ومع ذلك فهي لا تزال أمة من سائر الأمم، لم تتناول إلى ما فوق مكانتها، ولم تدع لنفسها رتبة غير ربتها، ولم تخرج عن قدرها لتقول عن نفسها كما قال اليهود والنصارى:

(نَحْنُ أَوْلَىٰ بِاللَّهِ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ وَأَحِبَّاءُ اللَّهِ)^(٣)، بل اختارت الوصف الوسط، وجعلته سمة من أبرز سماتها، والتي تحرص على تحقيقها في حياة الأفراد والجماعات والتي تعني بالتوازن والاعتدال.

قال صاحب الظلال: يحدث الله عز وجل هذه الأمة عن حقيقتها الكبيرة في هذا الكون، وعن وظيفتها الضخمة في هذه الأرض وعن دورها الأساسي في حياة الناس، وهي صاحبة شخصية خاصة بها لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازنها

(١) سورة آل عمران: من الآية "١١٠".

(٢) مفاتيح الغيب: الإمام / فخر الدين الرازي: ج ٤ / ص "٨٩".

(٣) سورة المائدة من الآية: ١٨.

(أُمَّةٌ وَسْطًا) في التصور والاعتقاد، لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي، إنما تتبع الفطرة بلا تفريط ولا إفراط (أُمَّةٌ وَسْطًا) في التفكير والشعور، لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا تتبع كذلك كل ناعق، أو تقلد تقليد القردة المضحك، (أُمَّةٌ وَسْطًا) في الارتباط والعلاقات، لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تطلقه كذلك فردًا جشعًا لا هم له إلا ذاته، (أُمَّةٌ وَسْطًا) في المكان، في كرة الأرض وفي أوسط بقاعها، وما تزال هذه الأمة التي عمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة تتوسط العالم^(١).

فهذه الأمة وسط بين الأمم لا تجنب الغلو الضار، ولا للأمم التي تميل إلى التفريط المهلك، فإن من الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه، كالنصارى الذين غلو في المسيح والرهبان، ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتى قتلهم، ورد دعوتهم كاليهود الذين قتلوا زكريا، ويحيى، وحاولوا قتل المسيح ورموه بالبهتان، أما هذه الأمة فقد آمنت بكل الرسل واعتقدت رسالتهم، ومن الأمم من استحلّت كل خبيث وطيب، ومنها من حرم الطيبات غلوا وبجازاة، وأما هذه الأمة فقد أحل الله لها الطيبات وحرم عليها الخبائث، إلى غير ذلك من الأمور التي من الله بها على هذه الأمة الكاملة بالتوسط فيها^(٢).

ومن ثم فقد نظر الإسلام للأنبياء والعلماء والدعاة نظرة عالية قويمه لا إفراط فيها ولا تفريط، وأنزلهم المنزلة التي تليق بهم من غير تفريط كاليهود ولا إفراط كالنصارى.

أما موقف الأمة الوسط وعقيدتها فهي: أن الإسلام وقف مع الأنبياء، فقد

(١) في ظلال القرآن: الأستاذ/ سيد قطب ج ١ ص ١٣١: ١٣٣ طبع دار الشروق بيروت، سنة ١٩٨٦م.

(٢) شرح العقيدة الواسطية: د. محمد خليل هراس، ص ١٨٤، طبع دار المحجرة، طبعة أولى سنة ١٩٩٥م.

أكرمهم ورفع مكانتهم في القلوب، وجعل جبههم يفوق كل شيء بعد حب الله تعالى، وأنزلهم منزلة سامية لا يدانيهم فيها أحد من البشر، وهي أنهم صفوة الله من خلقه، ومع هذا فإنهم بشر يجري عليهم ما يجري على سائر البشر من الحاجة إلى الطعام والشراب والنوم والتكاثر، والمرض والموت.... ونحو ذلك مما جبل عليه البشر. وهل يؤثر عن أمة من الأمم، أو منهج من المناهج أنه أنصف علماء ودعاته مثل الإسلام واعتداله، وتوسطه واتزانته، فيما يتحدث به عن مكانة العلماء والمصلحين كما في قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)^(١).

ثانيا: لفظة (أوسطهم)

أما كلمة (أوسطهم) فقد وردت في قوله تعالى: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)^(٢)، قال ابن كثير قال عباس ومجاهد وسعيد بن جبیر وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة: أي أعدلهم وخيرهم^(٣). وقال البغوي: أي خيرهم وأعدلهم وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي: يعني أهل الدين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين^(٤)، وقال أبو الليث السمرقندي: يعني أعدلهم وأعلمهم وأعقلهم^(٥)، وقال الألوسي: أي أحسنهم وأرجحهم عقلاً ورأيًا أو أوسطهم سناً^(٦).

(١) أخرجه أبو داود في سننه ج ٣ ص "٣١٧"، كتاب العلم، باب الخث على طلب العلم رقم "٣٦٤١"، طبع دار الفكر بيروت.

(٢) سورة القلم الآية "٢٨".

(٣) معالم التنزيل: الإمام / تحسين بن مسعود الفراء البغدادي: ج ١ / ص "١٢٢" طبع دار المعرفة - بيروت - طبعة ثانية سنة ١٩٨٧ م

(٤) تفسير السمرقندي: الإمام / نصر بن محمد السمرقندي: ج ٣ / ص "٤٦٢"، طبع دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ.

(٥) روح المعاني: الإمام / أبو الفضل محمد الألوسي: ج ٢٩ / ص "٣٢" طبع دار التراث العربية - بيروت .

(٦) مفاتيح الغيب: الإمام / فخر الدين الرازي: ج ٣٢ / ص "٦٣" مرجع سابق.

لقد اتفق المفسرون على تفسير كلمة (أوسطهم) بمعنى الأفضل والخيار وهو الأعدل.

ثالثاً: لفظة فوسطن.

وردت لفظة فوسطن في قوله تعالى: (فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا)^(١).

قال الرازي: قال الليث: وسطت النهر والمفازة أسطها وسطا وسطة أي صرت في وسطها وكذلك وسطتها وتوسطتها، ونحو هذا قال الفراء والضمير في قوله به إلى ماذا يرجع؟ فيه وجوه، أحدها: قال مقاتل أي: بالعدو وذلك أن العاديات تدل على العدو، فجازت الكناية عنه وقوله جمعا يعني جمع العدو، والمعنى صرن بعد وهن وسط جمع العدو ومن حمل الآيات على الإبل قال يعني جمع منى، وثانيها: أن الضمير عائد إلى النقع أي وسطن بالنقع الجمع، وثالثها المراد أن العاديلت وسطن ملبسا بالنقع جمعا من جموع الأعداء^(٢).

وقال أبو السعود: أي توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسات بالنقع^(٣).

وقال القاسمي: (فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا) أي فتوسطن ودخلن في وسط جمع الأعداء ففرقته وشتته، ويقال: وسطت القوم - بالتخفيف - ووسطته بالتشديد وتوسطته بمعنى واحد^(٤).

من خلال ما سبق اتضح لنا أن كلمة وسط تستعمل في معان عدة أهمها:

(١) سورة العاديات: الآية "٥".

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: الإمام / أبو سعيد ناصر الدين بن محمد البيضاوي: ج ٩ / ص "٩٠" طبع دار الفكر بيروت سنة ١٩٩٦م.

(٣) تفسير البغوي: ج ٤ / ص "٥١٨" مرجع سابق.

(٤) تفسير القاسمي: الشيخ / محمد جمال الدين القاسمي: ج ١٧ / ص "٦٢٢٧" ، طبع دار الفكر بيروت، طبعة ثانية سنة ١٩٧٨م.

بمعنى الخيار والأفضل والعدل، وترد لما بين شيئين فاضلين وهو خير، وتستعمل لما كان بين الجيد والردىء، والخير والشر، وقد تطلق على ما بين شيئين حساً، كوسط الطريق، ووسط العصا، وقد تأتي لمعان أخرى قريبة من هذه المعاني.

المبحث الثالث: الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط

يقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)^(١).

يقول الإمام ابن جرير الطبري: أرى أن الله تعالى إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل اعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها^(٢).

وإذا كانت الشهادة في أمر عادي ولو بسيط، لا تصح إلا ممن كان عدلاً، تتوفر فيه شروط من العقل والعلم والصدق ومكارم الأخلاق... فكيف الأمر بمن يكون شهيداً على الناس، كل الناس؟؟

وهكذا كانت أمة الإسلام (أمة وسطاً) وسطاً بكل معاني الكلمة: شرفاً... وإحساناً... وفضلاً... وتوازناً... واعتدالاً... وقصداً... وعقيدة... ونظاماً... وشرعية... ومنهاجاً... ومناخاً... وموقعاً في الأرض... وتاريخاً... إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتبدي فيهم رأيها، فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ج ٣ ص ١٤٢، طبع دار الفكر بيروت - سنة ١٩٨٥م.

في أمرهم..

وهي شهادة على الناس والرسول هو الذي يشهد عليها، يقرر لها موازينها وقيمتها، ويحكم على أعمالها وتقاليدها، ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيها الكلمة الأخيرة، وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعريفها هي، وتشعر بضخامتها، ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعداداً لائقاً^(١).

وهكذا كانت أمة النبي - صلى الله عليه وسلم - الوسط مسؤولة عن إبراز الرسائل السماوية السابقة، في صورتها الصادقة، نصرة للرسول عليهم السلام... وشهادة في محكمة التاريخ.. جعلها الله شطراً مهماً من الأمانة العظمى التي حملها إياها.

ولم يأت الإسلام القمة في آخر عمر الأرض، ونهاية الزمان، حيث يتقاصر مدى الانطلاق الحضاري.

إن الأمد الذي تبقى في حياة الإنسانية - منذ جاء الإسلام - كان أمداً يتضح فيه دور المجتمع في حياة الإنسان، وكانت الإنسانية تخرج بسعة من دور القبيلة، إلى دائرة المجتمع والدولة، فكان المجتمع - بأنظمته ومناهجه وروابطه - هو المجال الذي ينتظر هداية السماء، والذي يفتقر إلى كلمة الحق المضيفة التي تبدد العماية والفساد.

لقد تجلت وسطية الإسلام في شتى مرافق الحياة:

في التصور والاعتقاد، في الشعور والتفكير، في التنظيم والتنسيق، في الارتباطات والعلاقات، وفي المكان والزمان..

وهكذا أعد الله أمة الإسلام لتكون أهلاً للشهادة على الناس: (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ

(١) الوسطية في الإسلام: د. محمد عبد اللطيف الرفور، ص ١٣٤، طبع دار النفائس بيروت، طبعة أولى سنة ١٩٩٣م.

عَلَى النَّاسِ).

إن الشهادة في الواقع مسؤولية إنسانية عامة، وهي شكل من أشكال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يفرض بالمواطن الحضاري السوي أن ينهض به تلقائياً بدافع من قلبه اليقظ، ووازع من ضميره الحي.

وقد جعل الإسلام هذه الشهادة مسؤولية وجدانية، فيها معنى التكليف ومعنى التشريف، وابتدأ بها من منطلق الفلاح الإنساني، فشجع في إنسانه النقد الذاتي، وسلطه على نفسه بشئ نوازعها السلبية والإيجابية، وبصره بالعواقب، ليغلب جوانب الخير على جوانب الشر، ورتب على ذلك من الآثار الخطيرة ما يحفز الهمم إلى معالي الأمور.

والشهادة وإن لم تكن في الأصل مسؤولية إلزام وقهر وإكراه بل مسؤولية تكليف سليم واختيار إيجابي وتكريم، فهي ليست عشوائية مسببة بل محاسبة ومراقبة من قبل قيم عظيم رحيم: (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)^(١) وهي فوق هذا في نظر الله من قبل ومن بعد: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً)^(٢).

وهكذا تتسلسل شهادة إثر شهادة.. تفرض السيادة للحق والريادة فيه، تبدأ من الضمير، وتمر بالمجتمع، ويحكم لها أو عليها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنفسه في حياته، وبأحكام الكتاب والسنة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وتنتهي بالجزاء ثواباً أو عقاباً في البرزخ الثاني الأخروي من الحياة بعد أن تكون نواميس الله قد أجرت أقداره، ورتبت النتائج على المقدمات..... فلاحاً أو خيبة سعادة أو شقاء في الحياة الدنيا.

(١) سورة البقرة من الآية: ١٤٣.

(٢) سورة النساء من الآية: ٣٣.

وكان من مقتضى هذه الوسطية وهذه الشهادة أن يكون الإسلام بشريعته المحمدية رابطا بين الناس سابقهم بلحقهم من جهة ووصلا بين كل أشتاتهم المتعايشة في زمان واحد، وإن اختلفت الأمزجة وتباعدت الأمكنة من جهة أخرى^(١).

لقد تميزت الأمة الإسلامية الوسط التي تسير في الحياة سيرا متوسطا معتدلا بـمميزات تؤهلها لأن تكون أمة وسطا، فهي معتدلة في توحيد الله وصفاته، وفي عقيدتها حول الأنبياء والرسول وفي اتباعها للقرآن الكريم والسنة المطهرة وفي توازنها بين الجانب الروحي والجانب المادي، وفي اتباعها للسلف الصالح، وفي شتى مجالات الحياة الدينية والدنيوية.

وزبدة القول كله من وسطية الإسلام، إننا إذا استوعبنا أمرها استيعابا حضاريا شاملا، ثم نظرنا في جزئياتها، ودرسناها جزئية جزئية لادرکنا أنها تشمل الحياة في كل جوانبها ومعانيها، وأنها تترك آثارها في نفسية المسلم الحق، فيشعر دائما بالعزة بالله من جانب، والتواضع له ولعباده والمسؤولية أمامه من جانب آخر، وبالتالي فهي تترك آثارها في الأمة الإسلامية جمعا، رفعة ودمائة، وحملا للأمانة بشكل يمكن حضارتها من الانتشار والازدهار، فضلا على ما كونه هذه الوسطية للأمة الإسلامية من محورية في البشرية كافة استقطبت المواهب والكفاءات والخبرات، وجزت عنها أكرم الجزاء، ووظفتها للنفع الإنساني العام... وهكذا نالت ميزتها وحازت جدارتها الفذة التي ترتبت عليها وانبثقت عنها صدارتها في الوجود الإنساني، ومسؤوليتها عن ريادة البشرية، وبذل عطاء الإسلام هداية ودراية ونعمة ورحمة للعالمين.

(١) الوسطية في الإسلام: د. محمد عبد اللطيف الفرفور ص ١٤٥ مرجع سابق.

الفصل الثاني

أبرز مظاهر الوسطية في الإسلام

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

نزل القرآن الكريم هداية للناس ونورا، يخرج به الله من شاء من الظلمات إلى النور، ولزوم منهج الوسطية عين الاستقامة والهداية والصراط المستقيم، ولذلك فقد جاءت الآيات مستفيضة ترسم منهج الوسطية وتدلل عليه.

والوسطية منهج متكامل شامل غير محصور في ركن من الأركان ولا في جزئية من الجزئيات ولا في حكم من الأحكام ولا في أصل من الأصول فالإسلام كله وسط، وهذه الأمة هي أمة وسط قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)^(١).

وسوف نقدم بعضا من النماذج الحية والتي تبرز مظاهر الوسطية في الإسلام من حيث العقيدة والشريعة والأخلاق.

وقد تجلّت وسطية الإسلام في عقيدته أولا فلم تشرد به الروحانيات في تجريدتها المفرق، ولا أثقلتها الماديّات في كثافة مفرطة عطلت معناها.

إن الإنسان جسم وروح، وعقيدة الإسلام تنبثق عن الفطرة وتليها أحسن تلبية بإحكام وشمول وانسجام موزون.....

وتصبغ العقيدة الشريعة بصبغتها، كما تصبغان معا السلوك فيشمل هذا التوسط بنية الدين في عناصرها جميعا، وأمة هذا الدين تبعا لذلك فتكون أمة وسطا في كل شيء شكلا... وموضوعا.... ومادة..... ومعنى... فهي وسط في الأخلاق الفردية لا تقسو على الإنسان في حياته الخاصة فلا تحمله على حرمان نفسه من أطيب العيش الحلال.

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(١) الوسطية في الإسلام: د. محمد عبد اللطيف الفرغور ص ١٣٥، ١٣٦ طبع دار النفائس - بيروت -، طبعة أولى

سنة ١٩٩٣ م.

وهي وسط في الأخلاق الاجتماعية، لا ينأى بها تطرف عن الانفتاح على الناس، ولا تشد ولا تشد في معاملة الآخرين، وتجعل العدل أدنى مراتب التعامل الإنساني، وأما الفضل فلا حدود له^(١).

المبحث الأول: مظاهر الوسطية في الاعتقاد

لقد جاء الإسلام بالوسطية في الاعتقاد، ويشمل الجانب العقدي التوحيد والإيمان والإسلام والغيبات والنبوات والقدر والأخبار وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين، والاعتقاد ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع وسائر الملل والمذاهب الضالة والموقف منهم من مسميات هذا العلم، العقيدة والتوحيد والسنة وأصول الدين.

قال د/ علي الصلابي في كتابه القيم الوسطية في القرآن: والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة، الإسلام عقيدة وشريعة تعني التكاليف العملية التي جاءت في القرآن والسنة النبوية في العبادات والمعاملات. والعقيدة هي أمور علمية يجب على المسلم أن يؤمن بها، لأن الله أخبرنا بها عن طريق كتابه أو عن طريق وحيه إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي التي حددها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور بقوله: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى^(٢).

فالعقيدة في ديننا هي التي تدور حول قضايا معينة، هي التي أخبرنا بها الله ورسوله، وليست اعتقاد أي شيء وحتى تصبح هذه عقيدة لابد أن تصدق بها تصديقاً جازماً لا ريب فيه، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة، والدليل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا)^(٣)، وقوله تعالى: (الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)^(٤). وقال تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ

(١) الوسطية في الإسلام: د. محمد عبد اللطيف الفرفور ص ١٣٥، ١٣٦، طبع دار النفائس - بيروت -، طبعة أولى سنة ١٩٩٣م.

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ٣٨ كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر، رقم ٨.

(٣) سورة الحجرات الآية: ١٥.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٤١.

لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ^(١).

وذم المشركين المرتابين: (وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)^(٢) (٣).

والمسائل التي يجب اعتقادها أمور غيبية، ليست مشاهدة منظورة وهي التي عناها الله بقوله عندما مدح المؤمنين: (يؤمنون بالغيب)، فالله غيب وكذلك الملائكة واليوم الآخر، أما الكتب والرسل فقد يتبادر أنها تشاهد وتنظر، ولكن المراد هو الإيمان بنسبتها إلى الله، أي كون الرسل مبعوثين من عند الله، وأن الكتب منزلة من عند الله، وهذا أمر غيبي.

العقيدة ليست مختصة بالإسلام، بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم، وهذا ينطبق على الجماعات والأفراد والأمم والشعوب، والعقائد منذ بدء الخليقة إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهي قسمان: الأول: يمثل العقيدة الصحيحة، وهي تلك العقائد التي جاءت بها الرسل الكرام في أي زمان ومكان، وهي عقيدة واحدة، لأنها منزلة من العليم الحكيم الخبير العزيز. والقسم الثاني: يشمل العقائد الفاسدة على كثرتها وتعددتها، وفسادها ناشئ من كونها نتاج أفكار البشر، ومن وضع مفكريهم وعقلائهم، وعلمهم محدود ومقيد بقيود بشرية متمثلة في عادات وتقاليد وأفكار.

وأحيانا يأتي فساد العقيدة من تحريفها وتغيرها وتبديلها، كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية في الوقت الحاضر، فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد، ففسادهما كان من هذا التحريف، وإن كانت عقيدتهما سليمة الأصل^(٤).

(١) سورة آل عمران الآية: ٩.

(٢) سورة التوبة الآية: ٤٥.

(٣) الوسطية في القرآن: د. علي الصلابي ص ٦٥، شبكة المعلومات الدولية.

(٤) العقيدة في الله: د. عمر الأشقر ص ١١، مكتبة الفلاح، الكويت الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٤م.

العقيدة الصحيحة لا توجد إلا في كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم،
لأنهما محفوظتان لحفظ الله لهما قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ)^(١).

والعقائد في غير الإسلام وإن كان في بعضها قليل من الحق فإنها لا تمثل الحق ولا
تحليه.

فالعقيدة الصحيحة السليمة لا توجد في اليهودية ولا في النصرانية ولا في كلام
الفلاسفة... وإنما توجد في الإسلام في أصله: الكتاب والسنة، ندية صافية طرية
مشرقة، تملأ الفؤاد نورا وحياة ويقينا، (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ
تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا)^(٢)،
وتقنع العقل بالحجة والبرهان: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)^(٣)، وتنسجم مع
الفطرة (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)^(٤).

العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان، لأنه بدونها تائه ضائع يفقد ذاته ووجوده،
والعقيدة الإسلامية وحدها تجيب على التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر
الإنساني، بل وتحيره من أين جئت؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق
الذي خلقنا؟ وهل هناك عوالم غير منظورة وراء هذا العالم المشهور؟ وهل هناك
مخلوقات عاقلة مفكرة غير الإنسان؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها؟
وكيف تكون تلك الحياة إن كان الجواب بالإيجاب؟ لا توجد عقيدة سوى العقيدة
الإسلامية اليوم تجيب على هذه الأسئلة إجابة صادقة مقنعة^(٥).

(١) سورة الحجر الآية: ٩.

(٢) سورة الشورى الآية: ٥٢.

(٣) سورة الرعد الآية: ٤.

(٤) سورة الروم الآية: ٣٠.

(٥) المرجع السابق ص ١٢.

قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)^(١).
وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(٢).

بالإسلام وحده يصبح الإنسان يدري، يدري من أين جاء وإلى أين المصير، يدري لماذا هو موجود وما دوره في هذه الحياة. قال تعالى: (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^(٣).

ومن ثم كانت عناية الإسلام الكبرى موجهة إلى تحرير العقيدة، وتحديد الصورة الصحيحة التي يستقر عليها الضمير البشري في حقيقة الألوهية وعلاقتها بالخالق، وعلاقة الخالق بها... فتستقر عليها نظمهم وأوضاعهم، وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأدبهم وأخلاقهم كذلك، فما يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها، إلى أن تستقر حقيقة الألوهية، وتبين خصائصها واختصاصاتها، وعني الإسلام في أصله الكتاب والسنة بإيضاح طبيعة الخصائص والصفات الإلهية المتعلقة بالخلق والإرادة والهيئة والتدبير....

ثم بحقيقة الصلة بين الله والإنسان... فلقد كان لمعظم الركam في ذلك التيه الذي تخبط فيه العقائد والفلسفات، مما يتعلق بهذا الأمر الخطير الأثر في الضمير البشري وفي الحياة الإنسانية كلها.

فالذي يعرف الجاهلية هو الذي يدرك قيمة الإسلام، ويعرف كيف يحرص على رحمة الله المتمثلة فيه، ونعمة الله المحققة به أن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها

(١) سورة الروم الآية: ٤٠.

(٢) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

(٣) سورة الملك الآية: ٢٢.

وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها.... إن هذا كله لا يتجلى للقلب والعقل، كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية - السابقة للإسلام واللاحقة - عند إذن تبدو هذه العقيدة رحمة... رحمة حقيقية رحمة للقلب والعقل، ورحمة بالحياة والأحياء، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق وقرب وأنس، وتجارب مع الفطرة مباشر عميق^(١).

* وسطية الإسلام في توحيد الله وصفاته وأسمائه:

فالأنبياء عليهم السلام دينهم واحد وهو الإسلام، وشرائعهم مختلفة كما قال المصطفى - صلى الله عليه وسلم - (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)^(٢).

قال الحافظ ابن حجر (ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزممتهم مختلفة)^(٣)، وكل الأنبياء أخبروا بأنهم مسلمون ودعوا قومهم للإسلام لأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره، (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يَبْتَغِيهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)^(٤).

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(٥). وهذا يدل على أن دين جميع الأنبياء واحد وهو الإسلام، ودعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله عز وجل - وإفراده بالعبادة، على هذا مضى رسل الله والمسلمون

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: الأستاذ / سيد قطب ص ٤٦، طبع دار الشروق الطبعة السابعة سنة ١٩٨٢م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: ج ٥ ص ٦ كتاب أحاديث الأنبياء، باب وأذكر في الكتاب مريم، رقم ٤٧٨.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام: ابن حجر العسقلاني، ج ٦ ص ٤٨٩ مرجع سابق.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٥) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

من أممهم، ولكن قومهم غيروا وبدلوا بعدهم وحرفوا وأدخلوا في دين الله ما لم يأذن به الله، وشمل التحريف والتبديل أساس دعوة الرسل، وهو التوحيد. وما يتعلق بذات الله - عز وجل - من الأسماء والصفات فتفرقت الأمم في ذلك ما بين مفرط ومفرط، وغال ومقصر لإعراضهم عن هدي المرسلين واتباعهم غير سبيل المؤمنين.

ومن أعظم الأمم اختلافا وضلالا في هذا الباب، أمما اليهود والنصارى، فاليهود غلب عليهم التقصير والتفريط والجفاء، وإن كان لديهم غلو وإفراط، والنصارى غلب عليهم الغلو والإفراط وإن كان وقع منهم تفريط وتقصير في جوانب، والمسلمون اتبعوا الرسل، فهدوا لأقوم السبل فكان قولهم هدي بين ضلالتين، وحقا بين باطلين، فهو كلين سائغ يخرج من بين فرث ودم^(١).

● وسطية القرآن الكريم بين الكتب السماوية:

ومن وسطية القرآن الكريم أنه جاء بشريعة عامة للبشر، فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين، نسخ بها جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة، وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان، إن القرآن الكريم هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)^(٢).

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)^(٣).
والقرآن الكريم أنزله الله تعالى على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - للناس

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق: د. محمد باكرم محمد با عبد الله، ص ٢٤٢ بتصرف، طبع دار الدراية - الرياض، طبعة أولى سنة ١٩٩٤م.

(٢) سورة الحجر الآية ٩.

(٣) سورة فصلت الآيتان: ٤١، ٤٢.

كافة وليس خاصة بقوم معينين، كما كانت تنزل الكتب السابقة، فكان حفظه من التحريف وصيانته من عبث الناس، ليبقى ما فيه حجة الله على الناس، قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

بعكس الكتب الأخرى، فقد وجه الكلام في كل واحد منهما إلى أمة خاصة دون سائر الأمم، وهي وإن اتفقت في أصل الدين إلا ما نزل فيها من الشرائع والأحكام كان خاصا بأزمنة معينة وأقوام معينين قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ^(١)).

لذلك لم يتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ أي منها على مدى الدهور والأيام والأزمان، كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: مظاهر الوسطية في العبادات والتشريع

١- مظاهر الوسطية في العبادات:

الإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان والنحل التي ألغت الجانب الرباني، جانب العبادة والتنسك والتأله من فلسفتها وواجباتها، كالبودية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده... وبين الأديان والنحل التي طلبت من اتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج كالرهبانية المسيحية.

فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة، أو في السنة كالصوم، أو في العمر مرة كالحج، ليظل دائما موصولا بالله، غير مقطوع عن رضاه،

(١) سورة المائدة الآية: ٤٨.

ثم يطلقه بعد ذلك ساعيا منتجا، يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله.

ولعل أوضح دليل نذكره هذه الآيات الآمرة بصلاة الجمعة:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(١)).

فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة حتى في يوم الجمعة، بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعي إلى ذكر الله وإلى الصلاة وترك للبيع والشراء وما أشبه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيرا في كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح^(٢).

إن الإسلام كلف اتباعه بفرائض وعبادات ميسرة ورفع عنهم الحرج والمشقة وراعى طبيعتهم البشرية لأدائها بيسر ورغبة ومداومة، قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)^(٣).

والوسع ما يسع الإنسان فلا يعجز عنه ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه فقوله تعالى: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) أي لا يحملها إلا ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه، أو يجرها دون مدى غاية الطاقة، فلا يكلفها بما يتوقف حصوله على تمام صرف القدرة، فإن عامة أحكام الإسلام تقع في هذه الحدود، ففي طاقة الإنسان وقدرته الإتيان بأكثر من خمس صلوات وصيام أكثر من شهر، ولكن جلت قدرته ووسعت رحمته أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بها العسر^(٤).

(١) سورة الجمعة الآيات: ٩، ١٠.

(٢) الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي، ص ١٢٥ طبع مكتبة وهبة بالقاهرة، طبعة رابعة سنة ١٩٨٩م.

(٣) سورة البقرة من الآية: ٢٨٦.

(٤) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: د. صالح بن حميد، ص ٦٩.

• أخرج البخاري في صحيحه تعليقا: قيل يا رسول الله: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: "الحنفية السمحة"^(١).

• وأخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الدين يسر، ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا^(٢).

• وأخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أرسل معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال لهما "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا"^(٣).

• روت السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله لم يعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما وميسرا^(٤).

• قال - صلى الله عليه وسلم - إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز كراهية أن أشق على أمه^(٥).

لقد نهج التابعون - رضي الله عنهم - نهج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام علما وعملا وتوجيها وإرشادا واقتداء، ولقد كان من طريقهم البعد عن الشدة والتكلف والأخذ باليسير من الأمر.

٢- مظاهر الوسطية في التشريع:

والإسلام وسط كذلك في تشريعه وفي نظامه القانوني والاجتماعي. فهو وسط في التحليل والتحریم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم، وكثرت فيها

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ج ١ ص ١١٦، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ج ١ ص ١١٦ برقم ٢٩، كتاب الإيمان، باب يسر الدين.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ج ١ ص ٥٤١، كتاب الآداب، باب يسروا ولا تعسروا.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ج ٢ ص ١١٠٤، كتاب الطلاق، باب تخير طلاق امرأته لا يكون إلا بالنية.

(٥) سنن أبي داود: ج ١ ص ٢٠٩، كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة، رقم ٧٨٩.

الحرمات، مما حرمه إسرائيل على نفسه، ومما حرمه الله على اليهود، جزاء بغيهم وظلمهم كما قال الله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا* وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُفُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ)^(١).

وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة، حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة، مع أن الإنجيل يعلن أن المسيح لم يجيء لينقض ناموس التوراة، بل ليكمّله، ومع هذا أعلن رجال المسيحية أن كل شيء طاهر للطاهرين.

فالإسلام قد أحل وحرم، ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حق بشر، بل من حق الله وحده، ولم يحرم إلا الخبيث الضار، كما لم يحل إلا الطيب النافع، ولهذا كان من أوصاف الرسول عند أهل الكتاب أنه:

(يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)^(٢).

والتشريع الإسلامي وسط في شئون الأسرة، كما هو وسط في شئونه كلها. وسط بين الذين شرعوا تعدد الزوجات بغير عدد ولا قيد، وبين الذين رفضوه وأنكروه ولو اقتضته المصلحة وفرضته الضرورة والحاجة.

فقد شرع الإسلام هذا الزواج بشرط القدرة على الإحصان والإنفاق، والثقة بالعدل بين الزوجتين، فإن خاف ألا يعدل، لزمه الاقتصار على واحدة، كما قال تعالى:

(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) النساء من الآية: ٣.

(١) سورة النساء الآيات: ١٦٠، ١٦١.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٥٧.

وهو وسط في الطلاق بين الذين حرموا الطلاق، لأي سبب كان، ولو استحال
الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، كالكاثوليك، وقريب منهم الذين حرموه إلا لعلّة
الزنا والخيانة الزوجية كالأرثوذكس... وبين الذين أرخوا العنان في أمر الطلاق، فلم
يقيدوه بقيد، أو شرط

فمن طلب الطلاق من امرأة أو رجل كان أمره بيده، وبذلك سهل هدم الحياة
الزوجية بأوهي الأسباب، وأصبح هذا الميثاق الغليظ أوهى من بيت العنكبوت.
إنما شرع الإسلام الطلاق عندما تفشل كل وسائل العلاج الأخرى، ولا يجدي
تحكيم ولا إصلاح، ومع هذا فهو أبغض الحلال إلى الله، ويستطيع المطلق مرة ومرة أن
يراجع مطلقته ويعيدها إلى حظيرة الزوجية من جديد كما قال تعالى:

(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِخْسَانٍ)^(١).

والإسلام وسط في تشريعه ونظامه الاجتماعي بين (الليبراليين) أو (الرأسماليين)
الذين يدللون الفرد على حساب المجتمع بكثرة ما يعطى له من حقوق يطالب بها، وقلة
ما يفرض عليه من واجبات يسئل عنها، فهو دائما يقول: لي، وقلما يقول: علي...
وبين الماركسين والجماعيين الذين يضحمون دور المجتمع بالضغط على الفرد، والتقليل
من حقوقه، والحجر على حريته ومصادرة نوازعه الذاتية^(٢).

٣- مظاهر الوسطية في التوازن بين الروح والجسد:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الإنسان مركبا من روح وجسم، حتى يكون
صالحا للماديات والمعنويات معا عليه تقتضي هذا اللون من الخلق المزدوج الطبيعة.
تقتضي المادية لأن الكون مشحون بالمادة، فلو كان سكانه روحانيين لما انتفعوا بها

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٢٩.

(٢) الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي، ص ١٣٣:١٣٥ مرجع سابق.

ولما التفتوا إليها، ولظلت معطلة ساذجة يتفاعل بعضها تفاعل يؤدي به إلى التوالد الساذج الذي لا تلبث ثمراته أن تلتحق بأصوله فتهمل وتعطل، فلا يتحقق المقصود من إثارة الأرض وعمارها.

وتقتضي من ذلك الروحية لأن سكان هذا الكوكب لو كانوا ماديين صرفاً، ولم تكن لهم معنويات يدركونها ويقصدون إليها، ويتمتعون بها نفسياً كما يتمتعون بالمادة لكان قصارهم أن يكونوا كالحیوان الأعجم، أو كالوحوش في الغاب، ولما أدركوا الخالق وعرفوا حقه، وتوجهوا إليه بالعبادة، ولما كانت الحياة إلا ظلمات مادية لا يتخللها أي ضوء من أضواء العقل والروح التي هي من غير شك سر الإنسانية وقوامها^(١).

أن من أبرز مظاهر الوسطية في الإسلام التوازن بين الروحية والمادية - أو بعبارة أخرى - بين الدين والدنيا.

لقد وجدت في التاريخ أفراد وجماعات، كل همهم إشباع الجانب المادي في الإنسان، وعمارة الجانب المادي في الحياة، دون التفات إلى الجوانب الأخرى (وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)^(٢).

وهذه النزعة المغالية في المادية وقيمة الدنيا، حذيرة بأن تولد الترف والطغيان، والتكالب على متاع الحياة، والغرور والاستكبار عند النعمة واليأس والقنوط عند الشدة.

وفي الطرف المقابل لهذه النزعة وأصحابها وجد آخرون من الأفراد والجماعات، نظروا إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها،

(١) وسطية الإسلام: الشيخ / محمد محمد المدني ص ١٧ ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة ١٩٦١م.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٢٩.

وعطلوا قواهم من عمارتها، والإسهام في تنميتها وترقيتها واكتشاف ما أودع الله فيها.

وبين هاتين النزعتين قام الإسلام، يدعو إلى التوازن والاعتدال فصيح مفهوم الناس عن حقيقة الإنسان، وعن حقيقة الحياة.

وكان - صلى الله عليه وسلم - حريصا على توجيه أصحابه إلى التوازن المقسط بين دينهم ودنياهم، بين حظ أنفسهم وحق رهم، بين متعة البدن ونعيم الروح، فإذا رأى بعضهم غلوا في جانب، قومه بالحكمة وردّه إلى سواء الصراط.

ولما رأى في بعض أصحابه إفراطا في التعبد والصيام والقيام، على حساب جسمه وأهله ومجتمعه، قال له: (إن لبدنك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك - يعني زوارك وضيوفك - عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه)^(١).

وقال للجماعة الذين التزم أحدهم أن يصوم فلا يفطر، والتزم الثاني أن يقوم فلا ينام، والتزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدا - قال لهم: (أما إني أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني لأصوم وأفطر، وأقوم وأنا، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٢).

وحين أقبل أبو عبيدة بمال من البحرين، وأحس بعض الصحابة بقدمه فهورلوا مسرعين، ينتظروا أن ينالهم شيء منه، وبدا منهم الحرص على هذا المتاع الأدنى، انتهر النبي - صلى الله عليه وسلم - فرصة ليحذرهم من فتنة الدنيا وغرورها، والحرص على زخارفها، فخطب فيهم قائلا: (فأبشروا وأملوا مايسركم، فوالله ما الفقر

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح برقم ٤٦٧٥، ومسلم في كتاب النكاح برقم ٢٤٨٧، والنسائي في كتاب النكاح برقم ٣١٦٥.

أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم^(١).

وهكذا تعلم الصحابة أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم، وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة، يقول القائد الفاتح عمرو بن العاص رضي الله عنه: (أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) ولم يشعروا بتعارض قط بين عملهم لدينهم وعملهم لدنياهم، بل شعروا بالوحدة والانسجام والامتزاج، كانت شعائرهم وواجبتهم الدينية، تعطيتهم زادا وشخصية قوية يواصلون بها الكفاح لدنياهم، وكانت أعمالهم الدنيوية عوناً لهم على أداء فرائضهم الدينية... كانوا يعتقدون أنهم - في عبادتهم وفي مساجدهم - ليسوا مقطوعين عن الدنيا، كما أنهم - في مزارعهم ومتاجرهم وحرفهم - غير بعيدين عن الدين، فأعمالهم هذه عبادة إذا صحت فيها النية والتزمت حدود الله^(٢).

هذا وإن العبادة تفي بالمقتضيات الروحية للإنسان، كما أن المتطلبات الجسدية لا تكتمل إلا في صورة إكمال الضرورات والحوائج المادية، وإذا أصيب الإنسان بالغلو في العبادة، فهذا سترك آثاره السلبية على متطلباته البدنية وإن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - كثير التضرع والعبادة والتقوى، حتى أن قدميه كانتا تتورمان من كثرة القيام والصلاة، وعلم أمته كذلك الاجتهاد والمجاهدة في العبادة، وعدم التقصير فيها قدر الإمكان، ولكن هذا الاجتهاد سيكون جائزاً ومقبولاً ما لم يؤثر على المتطلبات المادية والجسدية للإنسان، ولم يقع الظلم على المتطلبات الإنسانية الطبيعية الأخرى^(٣).

(١) رواد البخاري في صحيحه: كتب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، حديث رقم ٦٤٢٥.

(٢) الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي، ص ١٢٨: ١٣٣ باختصار مرجع سابق.

(٣) المنهج الإسلامي للوسطية والاعتدال: د. قاضي عبد الرشيد، ص ٩٦ طبع دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة، طبعة أولى سنة ٢٠١٠م.

المبحث الثالث: الوسطية في الأخلاق

معنى الأخلاق:

يعني بالأخلاق القوى والسجايا النفسية الراسخة، التي تصدر عنها أنماط السلوك الإنساني الخارجي، من خلال إرادة حرة، وهي تمثل الصورة الباطنة للإنسان، كما إن الخلق يمثل الصورة الظاهرة، وكلاهما يكون حسناً أو قبيحاً، والأصل في الخلق أن يكون اختيارياً، يكسب بالتخلق والجهد والمثابرة على التزام جانب التسامي، ولذلك يمدح به الإنسان أو يذم، ويثاب عليه أو يعاقب، بخلاف الخلق فهو فطرة مقسومة محدودة، لا مدخل لاحد فيها ولا اختيار، ولا يتعلق بها لذاها مدح أو ذم، ولا يترتب عليها ثواب أو عقاب^(١).

ومعلوم لدي أصحاب الفطر السليمة أن الله تعالى فطر الإنسان على الخير، وركز في فطرته أصول الأخلاق والفضائل السامية، وركب فيه حب موافقتها، وبغض إليه مخالفتها إلا من انتكست فطرته تحت وطأة البيئة، وضلال التربية، وإغواء النفس والشيطان والاختيار حيثئذ يكون في اتجاه الإنسان مع أصول فطرته، ومقاومة عوامل التدني والتضليل المذكورة، وإلى ذلك يشير قوله تعالى:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)^(٢).

والإلهام: إلقاء الشيء من النفس، والمعنى: أفهم النفس الأمرين، أو عرفها حالهما، وما يؤدي إليه كلا منهما، ومكنها من اختيار أيهما شاء، فيفوز من تطهر من الدنيا، ويخيب من طمس فطرته، ومعنى دساها: أخفاها بالفجور والمعاصي، والآيات الكريمة

(١) المنهاج القرآني في التشريع: د. عبد الستار فتح الله سعيد، ص ٤٠٨، طبع دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة، طبعة أولى سنة ١٩٧٥ م.

(٢) سورة الشمس الآيات: ١٠:٧.

تجمع بين الإلهام الإلهي للإنسان بمقتضى فطرته، والجهد الاختياري له في التزكية أو التدنية.

وواضح أن الله تعالى يدعوا إلى طريق الخير بما وصفه بالتقوى وفلاح صاحبه ويكره الطريق الآخر بما وصفه بالفجور، وخيبة صاحبه ولو شاء منعه قهراً، ولكن حكمته اقتضت الاختيار، والأخلاق لذلك تمثل جانباً خطيراً في الحياة الإنسانية، بل هي إحدى المميزات العظيمة التي تميز الإنسان، إن الأخلاق كان لها في المنهج الرباني أهمية كبرى، فصاغها على وفق اتجاهه في الاعتقاد، وبنائها على أساس الحقيقة الكبرى للكون والحياة، وغاية الجنس البشري ومآله وغاية وجوده من حيث هو خليفة في الأرض، يقيم فيها شريعة الله ومنهجه.

إننا نحن المسلمون لدينا مرجع تفصيلي واف بصحيح الأخلاق وفاسدها، وما يحمد منها وما يذم، وقد اتفقت على ذلك كلمة الرسل جميعاً، لأن الأخلاق أحد الأصول المشتركة التي لا تتغير في دين الله - سبحانه وتعالى^(١).

ولقد جاءت الأخلاق في هذا المنهاج على أسنى درجات السمو والارتقاء، لأن الله - سبحانه وتعالى - جعل نفسه (المثل الأعلى) لأخلاق المؤمنين، وطلب منهم أن يتخلقوا على نمط ما أعلمهم عن نفسه جل شأنه من رحمة وود وحلم وعفو وسخاء وإتقان وإحسان وشكر وصبر ومغفرة وصدق وعدل، ووفاء بالعهد، بل وبطش بأعداء الحق بعد المطاولة والأعداء، مع ملاحظة الفارق التام بين صفات الخالق والمخلوق في كل شيء قال تعالى: (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)^(٢).

(١) المنهاج القرآني في التشريع: د. عبد الستار فتح الله سعيد ص ٤٠٩ مرجع سابق.

(٢) سورة النحل الآية: ٦٠.

فالإنسان كما صوره القرآن مخلوق مركب فيه العقل، وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان وروحانية الملاك، قد هدي للنجدين، وتهاى بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكرا وإما كفورا، فيه استعداد للفجور واستعداد للتقوى، ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تنزكى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)^(١).

والقرآن وسط في نظره لحقيقة الإنسان بين النحل والمذاهب التي تقوم على اعتباره روحا علويا سجن في جسد أرضي، ولا يصفوا هذا الروح ولا يعلو إلا بتعذيب الإنسان جسدا محضا، وكيانا ماديا صرفا لا يسكنه روح علوي ولا يختص بأي نعمة سماوية.

أما الإنسان في القرآن فهو روح ومادة، لأن الله خلق الإنسان من تراب أو طين أو صلصال وكلها تشير إلى الأصل المادي لبدن الإنسان، ثم أودع الله في هذه الآية شيء آخر، هو سر تميز الإنسان ومنبع كرامته، قال تعالى:

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)^(٢).

والقرآن وسط في النظرة إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة واعتبروا أن هذه الحياة الدنيا هي كل شيء، هي البداية والنهاية: (وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)^(٣)، وبين أولئك الذين استغرقوا في الجانب الروحي فقط.

والأخلاق الإسلامية آداب ربانية: بمعنى الوحي الإلهي هو الذي وضع أصولها، وحدد أساسياتها، التي لا بد منها لبيان سمات الشخصية الإسلامية، حتى تظهر متكاملة

(١) سورة الشمس الآيات: ١٠: ٧.

(٢) سورة الحجر الآية: ٢٩.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٢٩.

متماسكة متميزة في مخبرها ومظهرها، عالمة بوجهتها وطريقها، وإذا التبتت على غيرها المسالك واختلطت الدروب، ولا غرو أن وجدنا القرآن الكريم ذاته يعتني ويهتم بتوضيح السمات الأساسية لخلق المسلم، من الإحسان بالوالدين، وخاصة إذا بلغا الكبر أو أحدهما، والإحسان بذوي القربى، ورعاية اليتيم، وإكرام الجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل والخدم، والعناية بالفقراء والمساكين وتحرير الرقاب، والصدق في القول، والإخلاص في العمل، وغض الأبصار، وحفظ الفروج، والتواصي بالصبر، والتواصي بالرحمة والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الأمانات إلى أهلها، واجتناب الموبقات من الشرك، والسحر والقتل والزنا، والسكر، والربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات، والتولي يوم الزحف، وغيرها من كبائر الإثم وفواحشه إلى غير ذلك من الأخلاق الإيجابية والسلبية والاجتماعية والفردية^(١).

ولذلك تجد أن الأخلاق في الإسلام، لا تعتمد على مجرد الأمر الصارم والتكليف التعبدية، بل تعتمد على مخاطبة العقول، واستشارة الضمائر، في أخلاق معلومة معللة بالحكم، والمصالح المترتبة عليها في الدنيا والآخرة، من مثل قوله تعالى في وصية لقمان لابنه: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيمِ)^(٢).

وقال تعالى: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ

(١) الخصائص العامة في الإسلام: د. يوسف القرضاوي ص ٤٣ مرجع سابق .

(٢) سورة لقمان الآيات: ١٧: ١٩.

الْجِبَالُ طَوَلًا^(١).

إن الأخلاق في المفهوم القرآني شيء شامل يعم كل تصرفات الإنسان وكل أحاسيسه ومشاعره وتفكيره، حتى الهاجس الذي يهجس داخل الضمير، فهي ليست محدودة بمساحة معينة ولا بعمل معين.. ولا يوجد في الإسلام عمل واحد يمكن أن يخرج عن دائرة الأخلاق، فالصلاة لها أخلاق هي الخشوع، والكلام له أخلاق هي الإعراض عن اللغو، والجنس له أخلاق هي الالتزام بحدود الله وحرماته، والتعامل مع الآخرين له أخلاق هي الوفاء بالأمانة ورعاية العهد، والإنفاق له أخلاق هي أن يكون الأمر شورى بين الناس، والغضب له أخلاق هي العفو والصفح، ووقوع العدوان من الأعداء يستتبعه أخلاق هي الانتصار أي رد العدوان... وهكذا لا يوجد شيء واحد في حياة المسلم ليست له أخلاق تكيفه، ولا شيء واحد ليست له دلالة أخلاقية مصاحبة. هذا أمر... والأمر الآخر - وهو الأهم - أن الأخلاق في المفهوم القرآني هي لله وليست لبشر، ولا أحد غير الله: فالصدق لله، والوفاء بالعهد لله، واتقاء المحرمات في علاقات الجنس لله، والعفو والصفح لله والانتصار من الظالم لله، واتقان العمل لله كلها عبادة لله، تقدم لله وحده خشية وتقوى، وتطلعا إلى رضاه، إنها ليست صفقة بشرية للكسب أو الخسارة إنما هي صفقة تعقد مع الله^(٢). قال تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٧.

(٢) دراسات قرآنية: الأستاذ / محمد قطب قطب، ص ١٣٩، طبع دار الشروق بالقاهرة، طبعة رابعة سنة ١٩٨٧م.

إِلَّا وَسَعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(١).

ذلك هو الميثاق الأخلاقي الشامل الذي يلتزم به المؤمن إتباعاً لصراط الله المستقيم، فهو إذن جزء من العقيدة، مرتبط بها ارتباطاً أساسياً لا ينفصل عنها بحال^(٢).

الفصل الثالث

أهمية الوسطية في الدعوة إلى الله تعالى

ويشتمل على ثلاث مباحث:

المبحث الأول: اللين والرفق وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى

السماحة والرفق واللين من أهم مقاصد الإسلام، وإحدى مميزات الشريعة الإسلامية، فالإسلام سهل سمح ليس فيه ما يشق على الناس فهمه، أو يصعب عليهم العمل به، ولذلك مهددت السبل أمام دعوته فأخذت طريقها إلى قلوب الناس وعقولهم، فهو دين البساطة في عقيدته، والسهولة في تكاليفه وأحكامه، فالعقيدة الإسلامية لا غموض فيها ولا تنوء، فهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، والتكاليف الإسلامية مرنة ولا حرج فيها، فهي منوطة بقدرة المكلف واستطاعته، والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تدعو إلى اللين والرفق واليسر بالعباد قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)^(٣) ذكر الفخر الرازي في تفسيره أن هذه الآية صريحة في نفي تكاليف مالا يطاق^(٤)، وقال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

(١) سورة الأنعام: الآيات: ١٥١: ١٥٣.

(٢) الوسطية في القرآن: ج ٣ ص ٦٣ مرجع سابق.

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٨٥.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج ٧ / ص ١٢١.

وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ^(١)، قال القاضي ابن عطية: خير جزم نص على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلوب و الجوارح إلا وهي في وسع المكلف، وفي مقتضى إدراكه وبنيته وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأولهم أمر الخواطر^(٢)، هذا وقد رفع الله تعالى عن أمة الإسلام الحرج والضيق والمشقة التي كانت على من قبلنا، قال تعالى: (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)^(٣).

أي من ضيق يريد في شرعة الملة وذلك إنها حنفية سمحة، ليست كشدائد بني إسرائيل وغيرهم بل فيها التوبة والكفارات والرخص ونحو هذا مما كثر عده، والحرجة والشجر الملتف المتضايق ورفع الحرج لجمهور هذه الأمة ولمن استقام على منهاج الشرع، وأما السلاية والسراق، وأصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين، وليس في الشرع أعظم حرجاً من إلزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج^(٤).

وقال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)^(٥)، قال

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٦.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ج ١ / ص ٣٩٢، طبع مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة سنة ١٩٧٤م.

(٣) سورة الحج الآية: ٧٨.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج ٤ / ص ١٣٥.

(٥) الأعراف الآية ١٥٧.

الألوسي: أي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب أو منه ومن البدن، وإحراق الغنائم وتحريم السبت وقطع الأعضاء الخاطئة وتدين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية، فإنه وإن لم يكن مأمورا به في الألواح إلا أنه شرع بعد تشديد عليهم^(١).

ولقد وصف الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بخلال حميدة، وأخلاق فاضلة وشمائل كريمة وسجايا طيبة، فكان كامل الخلق، قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^(٢)، فكان - صلى الله عليه وسلم - يولف بين القلوب ويجمع النفوس ولا يعنت أحدا بعداوة، لا يعادي ولا يصخب، ولا يفحش في القول أو العمل، يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، رؤوف رحيم، قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)^(٣) ((١٢٨)).

قال الشيخ الشنقيطي: هذه الآية الكريمة تدل على أن بعث هذا الرسول الذي هو من أنفسنا الذي هو متصف بهذه الصفات المشعرة بغاية الكمال، وغاية شفقتة علينا هو أعظم من الله تعالى وأجزل نعمه علينا^(٤).

كما كان - صلى الله عليه وسلم - لين الجانب، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)^(٥) ولقد بعثه الله تعالى بالحنفية السمحة السهلة، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل

(١) روح المعاني للألوسي: ج ٩ / ص ٨١.

(٢) سورة القلم الآية: ٤.

(٣) سورة التوبة الآية: ١٢٨.

(٤) أضواء البيان: الشنقيطي ج ٢ / ص ١٤٩.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

النبي - صلى الله عليه وسلم أي الأديان أحب إلى الله - عز وجل (قال الحنفية السمحة)^(١)، قال الحافظ ابن حجر: السمحة السهلة أي أنها مبنية على السهولة لقوله تعالى: (وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) الحج: "٧٨"^(٢)، وفي الصحيحين: عن سعد بن أبي بردة عن أبيه عن جده قال لما بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعاذ بن جبل قال لهما: (يسرا ولا تعسرا ويسرا ولا تنفرا وتطاوعا)^(٣)، قال ابن حجر: هو أمر بالتيسير والمراد به الأخذ بالتسكين تارة وبالتيسير تارة أخرى من جهة أن التنفير يصاحب المشقة غالبا، وهو ضد التسكين، والتبشير يصاحبه التسكين غالبا وهو ضد التنفير، أي دين الإسلام ذو يسر أو سمي الدين يسرا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله، لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم، وقوله أحب الدين أي: خصال الدين، لأن خصال الدين كلها محبوبة، لكن ما كان منها سمحا أي سهلا فهو أحب إلى الله^(٤)، وأخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)^(٥).

قال الإمام العيني: والمعني لا يتعمق أحدكم في الدين فيترك الرفق إلا غلبه الدين

(١) أخرجه البخاري في الآداب المفرد: رقم ٢٨٧ ج ١ ص ١٠٨.

(٢) فتح الباري: ج ١ / ص ٩٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٥ ص ٢٢٦٩، كتاب الآداب، باب قول النبي يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس، رقم ٧٧٣.

(٤) فتح الباري: ج ١ ص ٩٣، ج ١٠ ص ٢٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، ج ١ ص ٢٣، باب دين يسر، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة، رقم ٣٩.

عليه وعجز ذلك المتعمق وانقطع عن عمله كله أو بعضه^(١).

وقال الإمام المناوي: أي دين الإسلام ذو يسر نقيض العسر أو هو يسر مبالغة لشدة اليسر وكثرته كأنه نفسه بالنسبة للأديان قبله لرفع الإصر عن هذه الأمة، ولن يشاد أي يقاوم الدين أحد إلا غلبه أي: لا يتعمق أحد في العبادة ويترك الرفق كالرهبان في الصوامع إلا عجز فغلب لما غلب عليه العبد من العجز والمعبود من عظيم الأمر وليس المراد ترك طلب الأكمل في العبادة فإنه محمود بل منع الإفراط المؤدي للملل^(٢).

وأخرج الإمام مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الله لم يبعثني معتنا ولا متعتنا ولكن بعثني معلما ميسرا^(٣) بل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يأخذ بالسهل اليسير ما لم يكن إثما، أخرج الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها - أنها قالت: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم - بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها^(٤).

ولقد فُج الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعون هذا النهج النبوي في التيسير علما وعملا وتوجيها، ولقد كان منهجهم البعد عن الشدة، قال معمر بن راشد: إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة فأما التشديد فيحسنه كل واحد^(٥).

(١) عمدة القارئ: ج ١ ص ٢٣٧.

(٢) فيض القدير الجامع بين فني الرواية والدراية: الإمام / محمد بن علي الشوكاني، ج ٢ ص ٣٢٩، طبع مصطفى البابي الحلبي، طبعة ثانية سنة ١٩٩٦م.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: ج ٢ ص ١١٠٣ كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، رقم ١٤٧٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: ج ٣ ص ١٣٠٢ كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٣٦٧.

(٥) التمهيد لابن عبد البر: ج ٨ / ص ١٤٧، طبع وزارة الأوقاف المغربية سنة ١٩٧٨م.

فإن المتأمل في هذا التيسير والعفو خلال هذه الآثار من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح يلحظ أن المعنى غائب عن واقع وفهم كثير من المسلمين، وقليل منهم من يدرك هذه الحقيقة، ويتعامل معها في واقعه، وتعامله، وإلزامه والتزامه ومنهجيه لا تجد إلا التفريط أو الإفراط.

والعجب أن بعض هؤلاء كأنه أغير على دين الله تعالى من رسوله - صلى الله عليه وسلم.

وهذا لا يعني التساهل والتهاون بحجة أن هذا الدين يسر، فمرد التيسير إلى الشارع لا إلى أهواء الناس، فلا إفراط ولا تفريط، وعلى هذا قامت قاعدة كبيرة من قواعد الفقه الإسلامي وهي: "المشقة تجلب التيسير"، هذا وكان من مظاهر التخفيف والتيسير مراعاة الإسلام سنة التدرج في التشريع: فإن الدين الحنيف قد راعى سنة التدرج فيما يشرعه من واجب أو محرم.

ومن خلال ذلك يتبين لنا أنه قد وردت آيات كثيرة تبين أن هذا الدين يسر، وأن الله قد رفع الحرج عن هذه الأمة فيما يشاق عليها، حيث لم يكلفها إلا وسعها، ومن ذلك التيسير عدم التكليف بغير الوسع والطاقة.

فالوسطية سمة من سمات هذه الأمة، وخاصية من خصائصها، ولن نستطيع أن ندرك حقيقة الوسطية إلا إذا فهمنا سمة اليسر والتوسعة ورفع الحرج، وإلا تصبح الوسطية معنى مفرغا من حقيقة، وقولا نظريا لا وجود له في الواقع، وبذلك يفقد هذا الدين خاصية لها أثرها في حياة الناس ومآلهم.

المبحث الثاني: وسطية الأنبياء والرسل - عليهم السلام - وأهميتها في الدعوة

إلى الله

الأنبياء عليهم السلام هم سفراء الله تعالى إلى خلقه، وصفوته من عباده، أرسلهم

ليكونوا رحمة للعالمين، ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وإن الناظر إلى دعوتهم عليهم السلام ليجد أنهم سلكوا السبل المثلى والوسطى لأهمهم ليسيروا على هجهم، وينهلوا من معينهم الرباني، وأن حاجة الناس إلى الدعوة والوسطية فيها أمر ضروري لأمر منها:

١- عجز العقول البشرية عن إدراك المصالح: فالله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وركبه في أحسن صورة، وكرمه وعظمه، وعلى كثير من خلقه فضله ورفعته، وكرمه بالفكر والعقل يميز بين الحسن والقبيح، ويفرق به بين الحق والباطل، ولكن العقول البشرية وحدها لا تستقل بإدراك المصالح الدنيوية عن الأخروية، ولا تهدي وحدها إلى تميز الخير عن الشر، والمعروف من المنكر، وليس من غرائزها أن تقف على حقائق الأمور، ولا أن تدبر شؤونها على نظام محكم عادل لا خلل فيه ولا انحراف، فأثما وأن وصلت إلى الغاية القصوى من الإدراك قد تميل عن الحق إلى الباطل، وتنحرف عن الصلاح إلى الفساد، ويخفى عليها وجه المصلحة، ولا تهدي إلى مغبة الأعمال، وكثيرا ما يبدو لها الشر في لباس الخير فتقع فيه، وكثيرا ما ظهر لها الخير في صورة الشر فأعرضت عنه^(١).

٢- تغليب الأهواء والشهوات على العقول: وإن اهتمت العقول البشرية إلى إدراك الخير والشر، فقد تغلب عليها الشهوات أو يشتد بها الغضب والحسد، فيصرفها عن النافع، أو تقع في الضار.

٣- واقع الناس المر: إن الناظر في حال البشرية يرى فسادا وصلوا به إلى درك سحيق، قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)^(٢) لقد استشرى الفساد في كل نواحي الحياة،

(١) هداية المرشدين: الشيخ علي محفوظ، ص ١٨، طبع دار الاعتصام بلقاهرة، طبعة خامسة سنة ١٩٥١م.

(٢) سورة الروم الآية: ٤١.

وتخلل الانحلال كل خلية من خلايا الحياة البشرية.

قال الفخر الرازي: واعلم أن كل شيء فاسد يكون فهو بسبب الشرك، لكن الشرك قد يكون في العمل دون القول والاعتقاد فيسمى فسقا وعصيانا، وذلك لأن المعصية فعل لا يكون لله بل يكون للنفس، فالفاسق مشرك بالله بفعله غاية ما في الباب أن الشرك بالفعل لا يوجب الخلود لأن أصل المرء قلبه ولسانه، فإذا لم يوجد منهما إلا التوحيد يزول الشرك البدني بسببهما^(١) وغير ذلك فلا بد من قاعدة الجذ والقصد والوسط والاعتدال، والعدل والحق في بناء هذا الكون بالتميز بين حقيقة الألوهية بحقوقها ولوازمها، وبين حقيقة العبودية بمحدودها وضوابطها، وما ينتج من هاتين الحقيقتين من سمات وصفات ونتائج وهذه هي الانطلاقة الأولى لقضية التوحيد بالنسبة للإنسانية على وجه المعمورة، بدأت من آدم عليه السلام - أبي البشر مرورا بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام حتى قيام الساعة، انفتحت وظيفة الإنسان في هذه الحياة، وتحددت بها مهمته في هذا الوجود.

وهذه الوظيفة وهذه المهمة للإنسان في الحياة الدنيا، هي التي من أجلها أنزل الله الكتاب وأرسل الرسل: فالرسل إنما دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم وجاء على ألسنتهم هذه الدعوة لأقوامهم: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)^(٢).

وقام الأنبياء والرسل بهذه الرسالة خير قيام من لدن سيدنا آدم إلى خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وكانت دعوة الأنبياء دعوة وسط دون تعنيف أو تشدد قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

(١) مفاتيح الغيب: الإمام / فخر الدين الرازي، ج ٢٥ / ص ١٢٢ مرجع سابق.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٥٩.

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^(١).

والإسلام ابتداء ومن منطلق دعوته الكونية لم يضمّر لأحد من الناس كيذا ولا ضغينة ولا حقدا، فالإسلام يريد لعالميته أن تؤدي دورها ولا يريد أن يدفع الشعوب الأخرى أن تأخذ بالإسلام قهرا وقسرا^(٢)، فإذا اتجهنا إلى القرآن الكريم لنأخذ من وسطية الأنبياء في دعوتهم، نجد على سبيل المثال دعوة الخليل إبراهيم، حيث حكى القرآن هذا الحوار الذي يتسم بالأدب الجم في دعوة الخليل لأبيه وقومه، قال الله تعالى: (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَتَتْ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)^(٣).

ففي هذه الآيات البينات أمر للنبي - صلى الله عليه وسلم أن يذكر لأمتة جانبا من هذه الوسطية الحكيمة التي استعملها الخليل مع أبيه وهو يدعو إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ثم ينهاه عن عبادة الشيطان لأنه جهل وانحطاط في التفكير، ثم بين

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٢) قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري: د. منير شفيق، ص ٩١، طبع مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٩٢م.

(٣) سورة مريم الآيات: ٤٨: ٤١.

له بلسان الرحمة و الشفقة أنه يخاف أن ينزل به عذاب من الرحمن بسبب الكفر والإلحاد، ثم يقطع محاورته مع أبيه بالسلام وبهذا الأسلوب الرصين، ومنطق الحق المبين الهادئ الرقيق، وبهذا الحوار خاطب إبراهيم عليه السلام أباه وهو يدعو إلى التوحيد، فهو بالوسطية يدعو ولا يحمله على اعتناق الإيمان قسراً.

قال العلامة الشنقيطي: إن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة، مع ما فيها من الرفق واللين وإيضاح الحق والتحذير من عبادة ما لا يبصر ولا يسمع ومن عذاب الله تعالى، ومن ولاية الشيطان - خاطبه هذا الخطاب العنيف، وسماه باسمه ولم يقل له يا بني في مقابلة قوله يا أبت، ثم أمره بهجره ملياً أي زمناً طويلاً، ثم بين أن إبراهيم قابل أيضاً جوابه العنيف بغاية الرفق واللين، وخطاب إبراهيم لأبيه الجاهل بقوله سلام عليك قد بين جل وعلا أنه خطاب عباده المؤمنين للجهال إذا خاطبهم^(١).

وقال الزمخشري: انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومع غباوته التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المحاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه عز وجل^(٢).

وهذا نبي الله موسى عليه السلام - انظر كيف يأمره الله - عز وجل - أن يستعمل الرفق واللين مع رجل عنيد جبار أنكر الألوهية لله تعالى، بل وادعاها لنفسه، ومع ذلك يأمر الله تعال موسى عليه السلام أن يترفق معه في دعوته، وأن يكون وسطاً

(١) أضواء البيان: الشيخ / محمد الشنقيطي، ج ٣ ص ٤٢٧، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: الإمام / أبي القاسم جابر الله الزمخشري، ج ٣ ص ٢١، ٢٠ مرجع سابق.

في ذلك، قال تعالى:

(اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ * فَاتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ)^(١).

وقال القرطبي: دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة وضمنت له العصمة ألا تراه: فقولا له قولاً ليناً، وقال "لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى" فكيف بنا فنحن أولى بذلك وحينئذ يحصل الأمر والنهي على مرغوبه ويظفر بمطلوبه وهذا واضح^(٢).

وانظر كيف كانت وسطية نوح عليه السلام مع قومه قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)^(٣).

قال صاحب الكشف: كان عمر نوح عليه السلام ألف وخمسين سنة، بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين. وعن وهب

(١) سورة طه الآيات: ٥٤: ٤٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: للإمام القرطبي، ج ١١ / ص ١٩٩ مرجع سابق.

(٣) سورة العنكبوت الآية: ١٤.

أنه عاش ألف وربعمائة سنة، فإن قلت هلا قال تسعمائة وخمسين قلت ما أورده الله أحكم، لأنه لو قيل كما قلت لجاز إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع بجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملاً بالفائدة، وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره^(١).

ومع هذه المدة الطويلة التي قضاها نوح عليه السلام في دعوة قومه فقد سلك معهم كل اساليب الرفق واللين والوسطية، فدعاهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَلْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)^(٢).

(١) تفسير الكشاف لإبي القاسم جار الله الزمخشري ج ٣ ص ٤٤٩ مرجع سابق.

(٢) سورة نوح الآيات: ١: ٢٠.

وهكذا اتبع كل الأنبياء والرسول منهج الوسطية الحكيمة في دعوة أقوامهم لما لها من أهمية في الدعوة إلى الله تعالى، فخاطبهم على قدر عقولهم، وسلوكوا معهم كل طريق لدعوتهم إلى الحق وتدرجوا معهم في الأوامر والنواهي للنهوض بالبشرية، وتحقيق السعادة لهم في الدارين.

المبحث الثالث: وسطية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأهميتها في الدعوة

وإذا نظرنا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ووسطيته في دعوة الناس إلى التوحيد، فقد تميزت هذه الدعوة عن غيرها، وبرزت أهميتها ومكانتها. حيث كان مهد الإسلام في بيئة غلب عليها الشرك، وجعل أفرادها لله تعالى الشركاء والأنداد، فكان من الطبيعي أن يبدأ بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين هؤلاء التوسط الذي نزل به الوحي السماوي، وجاء منهج الدعوة الإسلامية وسطاً لا إكراه فيه ولا تشديد، ولا تهاون فيه ولا تفريط، وإنما كانت دعوة تتناسب مع معادن الناس وأحوالهم، وتقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، فأمة الإسلام هي الأمة الوسط التي مدحها القرآن قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)^(١).

فالقرآن يحدد لهذه الأمة دورها الرباني في النهوض بالبشرية، ورسالتها في قيادة القافلة الإنسانية، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس، شاء الله لها أن تكون أمانة على رسالة السماء، وشاهدة على الناس، وبما أن رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - عالمية فإن حوارها - صلى الله عليه وسلم - كان بين أطراف متعددة وأجناس متنوعة، وكان يقوم على الوسطية، فكان حوارها صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

بينه وبين المشركين، فقد أثار المشركون الشبهات حوله، وحول رسالته، ولقد لقن الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم الحجة البالغة التي قذفها في وجه باطل المكذبين فإذا هو زاهق.

لقد قال الكافرون عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إنه ساحر كذاب، وتعجبوا أن كان هذا الرسول - صلى الله عليه وسلم - واحد منهم، وحكى القرآن ذلك في آيات متعددة، كما حكى القرآن الرد الذي يخرس ألسنتهم ويمحو شبهاتهم، قال تعالى: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ * أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَسُدُّوا عَذَابَ * أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ * جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ^(١)).

فالمشركون تعجبوا من مجئ منذر منهم ينذرهم سوء العاقبة إن هم ظلوا على شركهم، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ولكنهم أهملوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسحر، ثم صرحوا في النهاية بالسبب الحقيقي الذي حملهم على الإصرار على الكفر، ألا هو الحقد والحسد، وإنكار أن يكون محمد رسولاً إليهم وفيهم السادة والأغنياء، ولكن رد القرآن على هؤلاء بأسلوب فيه الإضراب عن كلامهم وفيه التهوين من شأنهم، وفيه تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - وما يقنع العقول السليمة بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه عز وجل.

يقول الرازي: أنه لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق أردفه بشرح

(١) سورة ص الآيات: ١١:٤.

كلماتهم الفاسدة، فقال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أنهم قالوا أن محمدا مساو لنا في الخلقة الظاهرة، والأخلاق الباطنة، والنسب والشكل والصورة، فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجات الرفيعة، ثم أن هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيدا عن الكذب والتهمة، وكل ذلك مما يوجب الاعتراف به وتصديقه، ثم إن هؤلاء الأقوام لحماقتهم يتعجبون أن جاءهم منذر منهم ومعناه أن محمدا كان من رهطهم وعشيرتهم، وكان مساويا لهم في الأسباب الدنيوية، فاستتكفوا في الدخول تحت طاعته، والانقياد لتكاليفه، وعجبوا أن يختص من بينهم برسالة الله عنهم بهذه الخاصية الشريفة، وبالجملة فما كان لهذا التعجب من سبب إلا الحسد وقال الكافرون إظهارا للتعجب ودلالة على أن هذا القول لا يصدر إلا عن الكفر التام، فإن الساحر هو الذي يمنع من عبادة الله ويدعوا إلى طاعة الشيطان وهو عندكم بالعكس من ذلك، والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه، وهو يخبر عن وجود الصانع القدم الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الأشياء التي تثبت بدلائل العقول صحتها فكيف يكون كذابا

وفي موقف آخر يحكي القرآن لنا جانبا آخر من تلكم المواقف التي تدل على تعنت المشركين، ويرد القرآن الكريم عليهم ردا يخرس السنتهم كما في قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ* وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ^(١)).

فقد اقترح المشركون على النبي - صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت هلا كان معك ملك من الملائكة يشهد بصدقك، ونسمع كلامه ونرى هيئته لنؤمن بك، وكان رد القرآن الكريم واضحا ومقنعا للعقول، بأنه لو نزل ملك كما أرادوا وبقوا على

(١) سورة الأنعام الآيتان: ٨، ٩.

ماهم عليه من الكفر لقضي الأمر بهلاكهم ثم لا يؤخرون، فهذه سنة الله تعالى مع المكذبين.

قال الإمام الرازي: اعلم أن هذا النوع الثالث من شبه منكري النبوات فإنهم يقولون لو بعث الله إلى الخلق لوجب أن يكون هذا الرسول واحدا من الملائكة، فإنهم إذا كانوا زمرة الملائكة كانت علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن الخلق أكمل، والشبهات والشكوك في نبوتهم ورسالتهم أقل، والحكيم إذا أراد تحصيل مهم فكل شيء كان أشد إفضاء إلى تحصيل ذلك المطلوب كان أولى، فلما كان وقوع الشبهات في نبوة الملائكة أقل وجب لو بعث الله رسولا إلى الخلق أن يكون ذلك الرسول من الملائكة ومع هذا التعتن من المشركين تجاه دعوة الحق فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلتمس لهم العذر ويدعو لهم بالهداية، وأما دعوة الإسلام فإنها كانت تقوم على التدرج والتؤدة وعدم التفريط والطفرة والعجلة^(١).
فإن الوسطية والتدرج في الدعوة هو سمة المنهج الذي أتى به النبي - صلى الله عليه وسلم - من ربه عز وجل.

ومن تسهيل الإسلام وتيسيره على الناس: أنه راعى معهم سنة التدرج فيما يشرعه لهم من واجب أو محرم، فنجد حين فرض الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصورة الأخيرة، فالصلاة فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين، ثم أقرت في السفر على هذا العدد، وزيدت في الحضر إلى أربع أعني الظهر والعصر والعشاء والصيام فرض أولا على التأخير من شاء صام ومن شاء أفطر وفدى..... وهكذا في كل الأوامر والنواهي^(٢).

(١) مفاتيح الغيب: الإمام / فخر الدين الرازي، ج ٢٦ ص ١٥٤، مرجع سابق.

(٢) الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي ص ١٦٦ مرجع سابق.

فالتدرج في الدعوة سمة منهج الإسلام، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز ابنه عبد الملك قال له: مالك لا تنفذ الأمور؟ فوالله لا أبالي لو أن القدر غلبت بي وبك في الحق، فقال له عمر: لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمر مرتين وحرّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة^(١).

ولعل رعاية الإسلام للتدرج، هي التي جعلته يقضي على نظام الرق، الذي كان نظاماً سائداً في العالم كله عند ظهور الإسلام وكان إلغائه يؤدي إلى هزة عنيفة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية فكانت الحكمة في تضيق روافده، بل ردمها كلها ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد، فيكون ذلك بمثابة إلغاء الرق بطريقة التدرج وهذه السنة الربانية في رعاية التدرج واضحة في كتاب الله دالة على وسطية القرآن ومعلم من معالم الحكمة والاعتدال أن يراعوا سنة التدرج في سياسة الناس، فعندما يراد تطبيق نظام الإسلام في الحياة، وإعادة حياة في ظل شرع الله متكاملة من جميع النواحي، فلا نتوهم أن ذلك يتحقق بجمرة قلم، أو بقرار من رئيس الدولة أو مجلس القيادة أو برلمان.

إنما يتحقق ذلك بطريقة التدرج، المبني على تصور صحيح واعتقاد سليم، نراعي الإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية، وهو نفس المنهج الذي سلكه النبي - صلى الله عليه وسلم - لتغيير الحياة الجاهلية إلى حياة إسلامية، فقد ظل ثلاثة عشر عاماً في مكة، كانت مهمته فيها تنحصر في تربية الجيل المؤمن الذي يستطيع فيما بعد أن يحمل عبء الدعوة، وتكاليف الجهاد لحمايتها ونشرها في الآفاق^(٢).

(١) مقال بعنوان: وسطية الإسلام، د. أحمد عمر هاشم، مجلة الأزهر عدد ذو القعدة سنة ٢٠٠٥ م.

(٢) الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي، ص ١٦٨ مرجع سابق.

إن وسطية القرآن في التشريع في باب التدرج عند التحريم لشيء اعتاد الأفراد عليه أو ألفوه في المجتمع فالتدرج في التحريم وسط بين التحريم الفوري الذي لا ينسجم مع نفوس الناس وفطرتهم وما اعتادوه وبين الأفراد وهو ترك الناس على ما اعتادوه من فساد وحرام لا يليق مع البشر السوي، والمتأمل في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - يجدها كلها تقوم على الوسطية، (وما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً)^(١). بل وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يأمر أتباعه بالتوسط في الأمور، وأن يتركوا التشدد في غير موضع التشدد، فقد جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو قال: (أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أني أقول والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت، فقلت له قد قلته بأبي أنت وأمي، قال: فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، قلت إني أطيق أفضل من ذلك، قال فصم يوماً وأفطر يوماً ففصم يومين، قلت إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داوود عليه السلام وهو أفضل الصيام، فقلت إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أفضل من ذلك^(٢).

هذا موقف لشاب صالح تقي، أشرب قلبه حب الله وذاق حلاوة الوقوف بين يديه، فأسهر ليله، وأظمأ نهاره، وزهد في الدنيا ولذاتها وبالغ في ذلك، وكان السبب في ذلك إرادة الخير، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت عينه ساهرة اهتماماً بشئون أمته، فلم يقره على هذا المسلك برمته، بل هذب هذه النزعة حتى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٣، ص ١٣٠٦ كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٣٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٢، ص ٦٩٧ كتاب الصوم، باب صوم الدهر، رقم ١٨٧٥.

تؤتي ثمارها، كل ذلك بأسلوب حكيم، فيبين له - صلى الله عليه وسلم - أن الفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية لا تتحمل ذلك دوماً، نعم قد تتحمله فترة ولكن تحدث بعد ذلك انتكاسة، ولنا في تاريخ الرهبان عبرة وفي هذه القصة أيضاً، وبين صلى الله عليه وسلم أن المبالغة في العبادة يصحبها غالباً تقصير في حقوق أخرى كثيرة.

وعن أنس رضي الله عنه - جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم: أما أنا فأنا أقوم الليل أبداً، وقال الآخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا.. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(١).

فهذا موقف من مواقف الغلو يجلي لنا سبب هذه النزعة: وهي الرغبة الصادقة في التزود من الخير دفعته لسؤال عن أسلوب النبي - صلى الله عليه وسلم - في عبادته، فلما علموا رأوا أن ذلك قليل، فقالوا ما قالوا، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يقر هذا الاتجاه فبادر بعلاجه، وصحح نظرهم لتحصيل خشية الله وتقواه، فيبين أنها ليست بالتضلع من أعمال والتفريط في أخرى، ولكنها تحصل بالموازنة بين جميع مطالب الله، وهذا هو عين الوسطية والحكمة والاستقامة والاعتدال والعدل.

عن ابن عباس قال: بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - (مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه)^(٢).

(١) صحيح البخاري، ج ٧ ص ١٤٢، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم ٥٠٦٣.

(٢) صحيح البخاري، ج ٧ ص ٢٩٧، كتاب الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك، رقم ٦٧٠٤.

إن هذه التوجيهات النبوية الشريفة صريحة في رسم منهج الوسطية في العبادة والحث على الاقتصاد والاعتدال فيها والبعد عن التشدد والابتعاد عن تكلف مالا يطاق.

إن التوسط الذي دعا إليه الإسلام لا يقتصر على العبادات فقط بل يشمل كل مجالات الحياة.

وفي ذلك عبرة وعظة للدعاة إلى الله تعالى في الاقتداء والتأسي بمنهج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الوسطية من خلال دعوتهم لكي تؤدي ثمارها في إصلاح الفرد والمجتمع.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد أن طوفنا وعشنا في موضوع هذا البحث الذي يبرز وسطية الإسلام التي تؤكد عدل وسماحة وعظمة الدين، يمكن أن نستخلص أهم النتائج والتوصيات في النقاط التالية:

أولاً: أهم نتائج البحث:

١- إن الوسطية في الإسلام هي العدل والتوسط وهي المنهج القويم الذي يتفق مع الفطرة البشرية، علماً بأن الوسطية ليست الإهمال والتساهل في الدين بل هي ميزان الحق واليسر

٢- إن الدين الإسلامي هو الدين الذي يدعوا إلى اليسر ورفع الحرج، ويرد المجتمع إلى فطرته السليمة ويبعده عن الفساد والانحلال، مع الرحمة به والتخفيف عنه في

- العبادات والتشريع والأخلاق وكل مجالات الحياة.
- ٣- إن المنهج الإسلامي في الوسطية يوازن بين الجانب المادي، والجانب الروحي المعنوي، فلا يطغى جانباً على جانب حتى يداوم المسلم على الطاعة، ولا ينسى نصيبه من الدنيا في حدود ما أحل الله له من الطيبات.
- ٤- إن الصراط المستقيم والطريق القويم الذي يسير عليه المجتمع الإسلامي، هو صراط الوسطية والاعتدال في كل شيء وفي شتى مجالات الحياة.
- ٥- إن الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط المعتدلة في أفكارها ومبادئها والمؤهلة للأخذ بزمام الأمور، وقيادة البشرية كلها إلى مافيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة، وهي الأمة التي تشهد على كل الأمم يوم القيامة.
- ٦- إن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة في العصر الحاضر لتطبيق منهج الوسطية في حياتها من أي وقت مضى، لأنه لا سبيل إلى بقائها إلا بوحدها، ولا سبيل إلى وحدتها إلا بوسطيتها التي سار عليها النبي صلى الله عليه وسلم والصحاب والتابعين من بعده.
- ٧- إن مظاهر الوسطية في الإسلام كثيرة ومتعددة، في العقيدة والشريعة والأخلاق، والتوازن بين الروح والجسد، ومراعاة سنن الله تعالى في التدرج والتيسر ورفع الحرج، والرخص لأصحاب الأعذار وغيرها لتحقيق عالمية الدعوة الإسلامية.
- ٨- لقد أكد النبي - صلى الله عليه وسلم على الوسطية في كل شئون الحياة، خاصة الوسطية واليسر في الدين، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، حتى يعلم أمته كيف يعيشون واقع الحياة وكيف يطبقون التشريع في منهج حياتهم.
- ٩- لقد تكفل الله تعالى بحفظ الدين الإسلامي دون غيره من الأديان لأنه الدين

الوسط المهيمن الذي حافظ على اعتداله على مدى الأزمان فلم ينحرف عن مساره الصحيح كما انخرفت الأديان والنحل المختلفة، فانخرفت في ظلمات الإفراط والتفريط، فلم تصلح لقيادة البشرية وإسعادها، بل جعلتها في التعاسة والشقاء والظلم والانحلال.

ثانياً: التوصيات:

- ١- أوصي القائمين على وزارة التربية والتعليم طبع منهج متكامل ومادة دراسية تحت هذا العنوان (الوسطية في الإسلام)، لتدريسها على كل المراحل المتوسطة والثانوية، ويدرس في كل فصل دراسي جزء من المادة، لتخريج الجيل الصالح الفاهم لمبادئ الدين بعيداً عن الغلو والتطرف والتساهل والتشدد.
- ٢- عقد المحاضرات والدروس والندوات بالمساجد للتعريف بالوسطية ومظاهرها وكيفية تطبيق المجتمع الإسلامي لها.
- ٣- طبع المؤلفات التي تتحدث عن الوسطية كمنهج حياة وتوزيعها مجاناً أو بأسعار رمزية، على أن يكون المؤلفين من العلماء والدعاة المشهود لهم بالوسطية في الأقوال والأفعال والأفكار.
- ٤- تركيز وسائل الاعلام على موضوع الوسطية لنهضة الأمة الإسلامية واستدعاء المفكرين والدعاة المعتدلين لتوجيه المجتمع الإسلامي إلى ما فيه الخير والرشاد.
- ٥- عقد الدورات التدريبية للدعاة والداعيات والوعاظ والواعظات لترسيخ مفهوم الوسطية لديهم وتصحيح المفهوم حتى يواجهوا الدعوة العملية وهم في وعي بعدل الإسلام وسماحته ويسره ورحمته ، فتكون لدعوتهم الأثر الأكبر لتكوين الأجيال الصالحة .

أهم المراجع

القرآن الكريم

- ١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: الإمام / أبو سعيد ناصر الدين محمد البيضاوي، طبع دار الفكر بيروت - سنة ١٩٩٦م.
- ٢- تفسير القاسمي: الشيخ / محمد جمال الدين القاسمي، طبع دار الفكر - بيروت - ، طبعة ثانية سنة ١٩٧٨م.
- ٣- تفسير السمرقندي: الإمام / نصر بن محمد السمرقندي، طبع دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ.
- ٤- تفسير المنار: الشيخ / محمد رشيد رضا، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣م.
- ٥- التمهيد: الإمام / يوسف بن عبد البر، طبع وزارة الأوقاف المغربية سنة ١٩٧٨م.
- ٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الإمام / محمد بن جرير الطبري، طبع دار الفكر بيروت سنة ١٩٨٥م.
- ٧- الجامع لأحكام القرآن: الإمام / أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبع مطابع دار الشعب بالقاهرة بدون تاريخ.
- ٨- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: الأستاذ / سيد قطب، طبع دار الشروق الطبعة السابعة سنة ١٩٨٢م.
- ٩- الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي، طبع مكتبة وهبة بالقاهرة، طبعة رابعة سنة ١٩٨٩م.
- ١٠- دراسات قرآنية: الأستاذ / محمد قطب، طبع دار الشروق بالقاهرة، طبعة رابعة سنة ١٩٨٧م.
- ١١- روح المعاني: الإمام / أبو الفضل محمود الألوسي البغدادي، طبع دار إحياء

- التراث العربي - بيروت - بدون تاريخ.
- ١٢- سنن أبي داود: الحافظ / أبو داود سليمان الأزدي، طبع دار الحديث سوريا، طبعة أولى سنة ١٩٧٤م.
- ١٣- شرح العقيدة الواسطية: د. محمد خليل هراس، طبع دار الهجرة، طبعة أولى سنة ١٩٩٥م.
- ١٤- صحيح البخاري: الإمام الحافظ / أبو عبد الله عبد الله اسماعيل البخاري، طبع المكتبة الإسلامية باستانبول سنة ١٩٨١م.
- ١٥- صحيح مسلم: الإمام / أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت - سنة ١٩٦٤م.
- ١٦- العقيدة في الله: د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح الكويت - طبعة خامسة سنة ١٩٧٤م.
- ١٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الإمام / أحمد بن حجر العسقلاني، طبع مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٨م.
- ١٨- فيض القدير الجامع بين فني الرواية والدراية: الإمام / محمد بن علي الشوكاني، طبع مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥م.
- ١٩- في ظلال القرآن: الأستاذ / سيد قطب، طبع دار الشروق بيروت سنة ١٩٨٦م.
- ٢٠- قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري: د. منير شفيق، طبع مؤسسة الرسالة - بيروت - سنة ١٩٩٢م.
- ٢١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الإمام / أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٧٩م.
- ٢٢- لسان العرب لابن منظور: طبع دار صادر بيروت سنة ١٩٨٠م.

- ٢٣- مجلة الأزهر، طبع مجمع البحوث الإسلامية عدد ذو القعدة سنة ٢٠٠٥م.
- ٢٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: الإمام / محمد عبد الحق عطية الأندلسي، طبع مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة سنة ١٩٧٤م.
- ٢٥- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن بن فارس، طبع مطبعة الحلبي بالقاهرة، طبعة ثانية سنة ١٩٧٠م.
- ٢٦- معالم التنزيل: الإمام / تحسين بن مسعود الفراء البغوي، طبع دار المعرفة بيروت، طبعة ثانية سنة ١٩٨٧م.
- ٢٧- مفاتيح الغيب: الإمام / فخر الدين الرازي، طبع دار الغد العربي بالقاهرة، طبعة أولى سنة ١٩٩٢م.
- ٢٨- المنهاج القرآني في التشريع: د. عبد الستار فتح الله سعيد، طبع دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة طبعة أولى سنة ١٩٧٥م.
- ٢٩- المنهج الإسلامي للوسطية والاعتدال: د. قاضي عبد الرشيد، طبع دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة، طبعة أولى سنة ٢٠٠٩م.
- ٣٠- منهج التربية الإسلامية: الأستاذ / محمد قطب، طبع دار الشروق، طبعة سابعة سنة ١٩٨٣م.
- ٣١- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والإرشاد: الشيخ / علي محفوظ، طبع دار الاعتصام بالقاهرة، طبعة خامسة سنة ١٩٥١م.
- ٣٢- وسطية أهل السنة بين الفرق: د. محمد باكر محمد با عبد الله، طبع دار الدراية، الرياض، طبعة أولى سنة ١٩٩٤م.
- ٣٣- وسطية الإسلام: الشيخ / محمد محمد مدني، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة ١٩٦١م.
- ٣٤- الوسطية في ضوء القرآن: د. ناصر بن سليمان العمر، طبع دار الوطن الرياض،

طبعة أولى سنة ١٩٩٤م.

٣٥ - الوسطية في الإسلام: د. محمد عبد اللطيف الفرفور، طبع مطبعة النفائس

بيروت، طبعة أولى سنة ١٩٩٣م.

* * *

فهرس الموضوعات

.....	المقدمة.....
.....	أهمية الدراسة.....
.....	أهداف الدراسة.....
.....	منهج البحث.....
.....	خطة الدراسة.....
.....	الفصل الأول: معنى الوسطية وعميز الأمة الإسلامية بها.....
.....	المبحث الأول: معنى الوسطية في اللغة والاصطلاح.....
.....	أولاً: معنى الوسطية في اللغة.....
.....	ثانياً: معنى الوسطية في الاصطلاح.....
.....	المبحث الثاني: معنى الوسطية في القرآن الكريم.....
.....	المبحث الثالث: الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط.....
.....	الفصل الثاني: أبرز مظاهر الوسطية في الإسلام.....
.....	المبحث الأول: مظاهر الوسطية في الاعتقاد.....
.....	المبحث الثاني: مظاهر الوسطية في العبادات والتشريع.....
.....	١- مظاهر الوسطية في العبادات.....
.....	٢- مظاهر الوسطية في التشريع.....
.....	٣- مظاهر الوسطية في التوازن بين الروح والجسد.....
.....	المبحث الثالث: الوسطية في الأخلاق.....
.....	الفصل الثالث: أهمية الوسطية في الدعوة إلى الله تعالى.....
.....	المبحث الأول: الدين والرفق وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى.....
.....	المبحث الثاني: وسطية الأنبياء والرسل وأهميتها في الدعوة إلى الله تعالى.....
.....	المبحث الثالث: وسطية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأهميتها في الدعوة إلى الله.....
.....	الخاتمة.....
.....	أهم مراجع البحث.....
.....	فهرس الموضوعات.....

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه
